إسرائيل ورفض العرب لها

بقلم : مكسيم رودنسون .

ترجمة
أديب اللجمي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منذ أيام قليلة صدر عن دار النشر «سوي Seuil» الفرنسية كتاب مكسيم رودنسون المرتقب : «اسرائيل ورفض العرب لها «Maxime Rodinson — Israël et le refus arabe يقع الكتاب في حوالي ٢٥٠ صفحة ؛ وهو عرض مكثف لقصة الصراع العربي الاسرائيلي ، ولبدء تكون المفهوم الصهيوني ، وقيام محاولات انشاء الدولة اليهودية في فلسطين ، ثم تواطؤ الغرب الاستعماري مع المنظمة الصهيونية العالمية ، واغتصاب الاراضي العربية حتى فرض انشاء اسرائيل . . وفي مقابل ذلك يعرض الكاتب نشوء المفهوم القومي العربي الذي تجلى في كفاح العرب ضد السيطرة العثمانية ، ثم ضد الاحتلال والانتداب الغربي لبلادهم ، ثم قيام الحركات التحررية

التقدمية في بعض اقطار الوطن العربي ، واتجاهها في طريق العدالة الاجتماعية والقضاء على الظلم وتحقيق التنمية والتقدم .

ويعرض الكاتب ايضاً العدوان الاسرائيلي الاخير (حرب الخامس من حزيران) ويحاول ان يفسر الموضوع كله من زاوية كبرى خلاصتها : إن العرب يعتبرون اسرائيل جسماً أجنبياً أتي به لاعاقة تطورهم ، واغتصاب ارضهم وحماية مصالح الامبريالية العالمية في اقطارهم ، وان رفض العرب لاسرائيل ، بالرغم مما حققته من اغتصاب ما زال مستمراً وكلياً .

وقد آثرنا تقديم ترجمة حرفية لأحد فصول الكتاب ، وفيه يدحض المؤلف الادعاءات التي يروجها الصهيونيون وحلفاؤهم حول اسباب النزاع العربي الاسرائيلي ، لينتهي بالنتيجة الى القول ان سبب النزاع كان وما يزال وجود دخيل أجنبي غاصب فوق الارض العربية . وطبيعي أن الكتاب موجه الى القارىء الغربي وهو يقدم له صورة تتسم بالموضوعية والرصانة للحق العربي في فلسطين .

— المترجم —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يمكن التساؤل الى ما لا نهاية له عن الأسباب المباشرة لحرب حزيران ١٩٦٧ . ان ثمة كثيراً من الوقائع مازالت مجهولة ، ولن يكشف النقاب عنها إلا بصورة تدريجية ، وبعضها لن يعرف إلا بعد زمن طويل . فتفاصيل الأزمات من هـذا النوع ، بما تتضمنه من تداخل الحركات السياسية والدبلوماسية والعسكرية تظل صعبة التحديد . من البادىء ؟ وما الأسباب الحقيقية ؟ وما النتائج التي كان يتوقعها ؟ أن الناس مازالوا يتناقشون مثلاً حول الاسباب المباشرة لحرب ١٩١٤ — ١٩١٨ . والنقاش حول أسباب حرب حزيران يمكن ان يكون طويلاً وصعباً . لقد توصلتُ استناداً الى الوقائع المعروفة حتى الآن الى رأي سأقدمه فيما يلي ، وهو بالطبع قابل للتعديل في ضوء معطيات جديدة .

على أن من السهل اصدار أحكام عن الأسباب العميقة للنزاع الذي لم تكن الحرب الأخيرة سوى مظهر صارخ من مظاهره .

ان السبب العميق للنزاع هو أن شعباً جديداً قد أقام فوق أرض احتلها ، ولم يقبل الشعب الأصلي بهذا الاحتلال . ان هذا واقع بدهي لاسبيل الى الشك فيه . وقد يجد بعض الناس تبريراً ، كلياً أو جزئياً ، لهذا الاحتلال إلا أنه لاسبيل الى نكرانه . كما أن بعض الناس قد يجدون رفض الشعب الأصلي أمراً مشروعاً أو غير مشروع .

فالأمر أمر شعب جديد يختلف كل الاختلاف عن الشعب القديم . حقاً هو يعلن بأنه كان قد عاش فوق هذه الأرض الفلسطينية في قديم الزمان ، وبأنه أقام فيها دولة جردت منها بالقوة . ان هذا صحيح كما يعرف الجميع ، مع بعض التحفظ . فمن المسلم به على العموم أن شعباً ما يستمر بوصفه جماعة مهما يكن شأنه في تجديد عناصره من الداخل . لقد كان هذا التجدد كبيراً جداً عند اليهود منذ العصور القديمة ، إلا ان هذا ليس بالعامل الحاسم . ثم ان الشعب اليهودي قد رأى بأم عينه دولته تنهار بالقوة (بقوة الرومان) ، إلا أنه لم يطرد من أرض فلسطين إلا جزئياً . وثمة واقع آخر اخطر من هذا ، هو ان اليهود كانوا في العصور القديمة يشكلون شعباً ، ثم لم يعودوا كذلك منذ عصر تحررهم المتفاوت الزمن حسب كل بلد . انهم لم يعودوا يشكلون اسرة اجتماعية ، بل اصبحوا اناساً تربطهم احياناً ديانة مشتركة ، وطوراً (كما في بعض البلدان) ثقافة محلية مشتركة (بحيث كانت توجد عدة « شعوب يهودية » متمايزة) ، واحياناً اخرى ذكرى انتمائهم الى اصل مشترك (بصورة جزئية) . ومع ذلك ، فلكي نبسط الامور ، يمكننا القول ان فريق اليهود الذين كانوا يفكرون في تكوين

شعب يهودي من جديد ، وجماعة قومية ، كانوا يكملون الجماعة الدينية اليهودية للقرون الوسطى (تلك التي كانت تتمتع فقط ببعض الحقائق القومية) ، ومن ورائها الشعب اليهودي المنتمي للعصور القديمة . ولكن هذا المنطق لاينفي تباين هذا الشعب .

هكذا يبدو لنا النزاع في جوهره نضالاً يقوم به السكان الأصليون ضد احتلال الأجانب لقسم من أرض وطنهم . وطبيعي أن ثمة عوامل كثيرة أخرى في هذا النزاع ، إلا أن هذا العامل أكثرها بروزاً وعمقاً .

لقد وُجه اليَّ الانتقاد مراراً على انني لم اعر اهتماماً كافياً لامنية اليهود القديمة في العودة الى صهيون ، ولحنينهم الى الوطن الضائع الذي يتغنى به ادبهم وفولكلورهم ، ولإقامة بعض الجماعات الصغيرة والافراد اليهود في فلسطين . وهنا ينبغي القول ان الصهيونية تحاول دون حق ان تفسر تفسيراً قومياً حديثاً الاماني الدينية القديمة المركزة حول مفهوم الخلاص الذي سيأتي في آخر الزمان ، في العصر الذهبي النهائي في فلسطين . لقد قلت فيما مضى ان الد اعداء اليهود هم الحاخامون . وربما كانت الامنية الدينية تتضمن عنصراً سابقاً على القومية ، في هذه الحال تصبح الصهيونية تحويلاً في الاتجاه العلماني لنزعة دينية ذات محتوى قومي جزئياً . ومثل هذا يحتاج الى شرح عميق .

مهما يكن من امر ، فلست ارى لماذا يكون تحليل هذه النزعات — وحتى العطف او الاعجاب الذي قد يكنه بعض الناس لها — كافياً لتشخيص النزاع في جوهره . **ان شعباً ، حين يعاني غزواً أجنبياً ، فان الجرح المعنوي الذي يحس به لاتخفف منه النزعات الروحية التي تتجلى لدى مجتمع الفاتحين ولا الدوافع التي قد يقدمها هذا المجتمع تبريراً لهذه النزعات .**

والحال ذاتها تنطبق على المزايا والنقائص التي يمكن اسنادها الى اليهود .
كذلك الحال ايضاً في آلامهم . ان آلام اليهود قد تبرر امنية بعضهم في تكوين دولة مستقلة . إلا ان ذلك ليس بالنسبة للعرب سبباً كافياً يبرر اقامة هذه الدولة على حسابهم .

قد يقتضي امر ايراد فكرة الإثم الجماعي الالماني ، تبريراً لإعادة الحاق اراضي السوديت بتشيكوسلوفاكيا ، ولاقتطاع اراض من المانيا والحاقها ببولونيا . إلا ان اي اثم من هذا النوع لايمكن اتهام العرب بـه وجعلهم مسؤولين عن آلام يهود اوروبا . بل ان من حق العرب ان يقولوا : اذا كان لدى الأوروبيين شعور بالمسؤولية تجاه اليهود ، فعليهم وحدهم أن يقدموا لهم الأرض ، لا أن يفرضوا ذلك على العرب . ان كثيرين من الناطقين بلسان العرب قد أعربوا عن استعداد شعوبهم للاسهام في المعونة الدولية التي قد تقدم الى ضحايا الاضطهاد اليهودي فيما لوحدث شيء من هذا بصورة معقولة ، ولكنهم ليسوا على استعداد لأن يكونوا هم المعوّضون الوحيدون عن أذى ألحقه الآخرون باليهود . ليس في هذا الموقف مايمكن أن يؤخذ عليه بشيء .

ولنلاحظ هنا أن الصهيونية لم تبلغ كامل أهدافها . حقاً إنها قد أقامت دولة يهودية . إلا أن إقامة الدولة اليهودية ، لم تكن غاية بذاتها ، في ذهن رواد الصهيونية ، بقدر ما كانت وسيلة لأهداف أخرى ، وهذه الأهداف هي تجديد الحياة لدى الشعب اليهودي ، الذي قيل انه قد « ضاع » بفعل التشرد وأعمال التصفية ومناهضة السامية . إلا أن مايحدث الآن يماثل ماحدث في « العهد الصهيوني » لزوروبابل في القرن السادس الميلادي ، أعني أن اليهود الذين آثروا البقاء خارج « اسرائيل » هم أكثر بكثير من أولئك الذين عادوا إليها . ولا شك في أن

قيام اسرائيل قد أثر بعض التأثير على عقليتهم ، ولكن هذا التأثير كان أقل فائدة وخيراً مما كان يتوقعه أو يدّعي به الصهيونيون .

أما موضوع مناهضة السامية ، فلئن خفّت وطأته اليوم كثيراً ، فليس ثمة أيّ برهان على أن وجود اسرائيل قد لعب دوراً أساسياً في هذا التطور . ثم ان مناهضة السامية تقتصر بصورة خاصة على أوروبا الغربية وأمريكا . أما في الاتحاد السوفييتي والديمقراطيات الشعبية ، في نهاية عهد ستالين ، فقد كانت العقيدة الصهيونية وقيام اسرائيل مما العامل القوي في مناهضتها . وعلى أية حال ان ماقدمته الصهيونية من حل المشكلة اليهودية لم يكن ذا وجه واحد .

ومن ناحية أخرى فان المزايا والنقائص التي يلحقها بعض الناس بالعرب ، والأحكام المختلفة التي يمكن إصدارها عن بنيتهم السياسية والاجتماعية ، ليست خليقة بتبرير العدوان عليهم . ومن البدهي أنه ليس ثمة لأحد الحق في أن يحكم بأن شعباً ما أو مجموعة شعوب لها نقائص، وأنهـا تستحق بالتالي أن تغتصب أرضها . إن مثل هذا الرياء كان في الماضي حجة الغاصبين . والضمير الأخلاقي المعاصر يتبرأ منه . وأية حجة تقدم في هذا المجال دفاعاً عمـا جرى لاتبدل من الواقع شيئاً ، وهو أن الصـراع صراع بين أبناء البلاد وبين غاصبين أجانب .

• • •

وليست القضية أيضاً ، كما يزعم الزاعمون كثيراً ، قضية صراع في سبيل التنمية . حقاً ما من أحد ينكر بأن اسرائيل قد أدخلت الى الشرق الأوسط نموذج مجتمع أكثر تقدماً حسب المفهوم الشائع ، مجتمعاً صناعياً أو هو في طريق

التصنيع ، متطوراً في الميدان التقني ، ومتمتعاً بعدد كبير من الأطر الفنية والعلمية ذات قيمة عالية . وتفوقه على جيرانه في هذا المجال أمر لاريب فيه . إلا أن هذه الحالة لا تختلف بشيء عن المستعمرات الأوروبية إذ لم يطرد المستعمرون السكان الأصليين لحساب السكان الذين وفدوا إليها . ففي كل مكان كان الناس يتقبلون الدروس التقنية ، ولكنهم كانوا يثورون على الاحتلال أو على اغتصاب اراضيهم . ان قيمة النموذج الاسرائيلي هزيلة ، إذ أن العرب يستطيعون أن يقتدوا بنماذج من أماكن عديدة ، من أوروبا أو أمريكا مثلاً ، وفي تلك الحال لم يكن عليهم أن يدفعوا ثمنها باقتطاع اراضيهم .

* * *

ثم إن الصراع ليس صراعاً في سبيل الديمقراطية . صحيح أن في اسرائيل مؤسسات برلمانية يمكن الاقتداء بها ، ولكن ذلك لايعني أبداً أن تكون ارادة أكثرية السكان ومصالحهم هي المتغلبة دوماً على ارادة ومصالح الجماعات الصغيرة ذات النفوذ الكبير والسلطان الاقتصادي والسياسي الحاسم . على أية حال ان المؤسسات السياسية في اسرائيل مرتبطة بنموها الاقتصادي العالي . وفي هذا المجال أيضاً يستطيع العرب أن يجدوا نماذج للاقتداء غير هذا النموذج الذي لاينفي عداءهم لأصحابه . **ويجب أن نضيف الى ذلك أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يعيش العرب فيها ، لايمكن أن تتيح للنظام البرلماني ، مهما يكن كاملاً ، أن يضع السلطة إلا في أيدي أكثر الفئات الاجتماعية رجعية .**

ان المؤسسات البرلمانية ليست هي الحل كما يتصور الأمريكيون . لقد لاحظنا ذلك في مصر بين سنة ١٩٢٣ وحتى سنة ١٩٥٢ . فلقد كان

للأمة المنتشرة في أوساط الجماهير والسلطة الاجتماعية الضخمة التي يمارسها كبار مالكي الأراضي، تأثير حاسم على التصويت الانتخابي، جعل السلطة في ايدي هؤلاء المالكين الكبار. **ومن ناحية اخرى حين تحاول الدولة ان تفرض بعض القيود في سبيل تأمين استثمارات التنمية تلبي مطالب الجماهير، فيمكن القول ان المؤسسات البرلمانية هي عدو التنمية.**

* * *

ثم ان النزاع ليس، كما تردد بعض الاوساط في اقصى اليسار، صراع الاشتراكية ضد المجتمعات العربية الرجعية او الفاشية. **ان الصهيونيين قد توطنوا في فلسطين بصفتهم طلائع للدولة اليهودية، لا بصفتهم مبشرين بالاشتراكية.** ولقد قلت في مكان آخر كيف ينبغي ان نفهم التيارات العقائدية الاشتراكية في اسرائيل والقطاع الاشتراكي في الاقتصاد الاسرائيلي. **نستطيع هنا على الاقل ان نؤكد بأن المجتمع الاسرائيلي ليس بالاجمال مجتمعاً اشتراكياً**، وأن الدولة الاسرائيلية لا تتابع نشر النظام الاشتراكي كجزء من سياستها الخارجية. ثم ان العرب لم يقفوا في وجه انتشار الاشتراكية، بل هم يقفون في وجه اغتصاب ارض وطنهم لحساب التوسع الاجنبي. فلو كان الموضوع هنا موضوع قدوة لامكن للعرب ان يجدوا خارج اسرائيل مثل هذه القدوة؛ وحتى لو فرضنا ان الرأي المعاكس الذي يقول ان القضية هي نضال الاشتراكية العربية ضد الاستعمار الاسرائيلي، فيمكن أن يستند هذا القول على اكثر من دليل، ولكن يمكن ألا نقبل به بهذا الشكل. حقاً ان اسرائيل ظاهرة استعمارية، إلا ان بعض البلاد العربية فقط لها بنية اشتراكية او هي متجهة عقائدياً اتجاهاً اشتراكياً. أما البلاد الاخرى فتعتمد على المشاريع الخاصة أو تنطلق من مذاهب

قديمة ، وتتضمن بنيتها مزيجاً من السمات العتيقة والصفات الرأسمالية . ولكن البلاد العربية كلها تقف ، عفوياً او بالقوة ، متحدة في وجـــه اسرائيل ، خاصة حين يشتد الخطر عليها من اسرائيل . فالقضية اذن مطلب عربي قومي ، يطالب به الشعب العربي كله ،ولا تستطيع ان تقف في وجهة أية دولة عربية مهما يكن نوع نظامها الاجتماعي . ثم ان هذا الكفاح يدخل ، مـن جهة اخرى ، في نطاق كفاح العالم الثالث ضد الامبريالية .

* * *

والنزاع لا يمكن رده الى ظاهرة مناهضة السامية . ان التباس الافكار حول هذا المفهوم كبير للغاية . ان اسباغ جوهر شيطاني لعين على اليهود ، عبر العصور والتاريخ والبلدان كلها (وهذا هو تعريف الرأي القائم على مناهضـــة السامية) هو مفهوم سيء يتطلب التقويض من وجهتي الاخلاق والعلم ، وينبغي ازالته بلا تردد . الا ان ذلك لا يستتبع ان نجعل كل يهودي او جماعة من اليهود مبرأين من كل شائبة . فكل انسان ينبغي ان يحكم عليه استناداً لحسناته وسيئاته وينبغي ان تزان افعال الانسان ، كل فعل حسب قيمته . فاذا كانت هـــذه الافعال مسيئة للافراد او الجماعات ، فان على هؤلاء ان يدافعوا عـن موقفهم وحقوقهم دون ان يحق لأحد اتهامهم بأنهم يتبنون نظرية غير مشروعة . واذا حكمنا عليهم بشكل آخر ، نكون قد افترضنا ان كل يهودي او جماعـة من اليهود لا يمكن الا أن يكونوا أخياراً صالحين ، او افترضنا انه لايجوز انتقاد اي من أعمالهم وافكارهم . وطبيعي ان مثل هذا الموقف مرفوض كلياً ، عقلياً واخلاقياً .

وبالمقابل فان كل عمل او قول يوجه الى اليهود ، ولو كان بدون حق ، يمكن ان يؤدي الى تعميات تدخل في نطاق مناهضة السامية . فكل نزاع يكون فيه جماعات اليهود طرفاً يمكن ان يفسر على هذه الصورة . كانت كل حرب في الماضي تثار احياناً لأسباب محدودة جداً ، تؤدي الى تعميات مبالغ فيها حول جوهر وطبيعة الناس الذين وجهت الحرب ضدهم . هذا ما أسميته بالعنصرية الحربية . لقد شاهدنا نماذج منها أثناء الحرب العالمية الاولى . كان الحلفاء يعتبرون الالمان عرقاً حلت عليه اللعنة . ولم يكن احد يستطيع القول دون ان يعرض نفسه للخطر ان بين الالمان اناساً ابدعوا في الموسيقى ، وآخرين اسهموا اسهاماً عبقرياً في فلسفة الغرب . ان مثل هذه الظاهرة مؤسفة ، ولكنها تدخل في طبيعة الانسان كما نعرفها .

وهذه الظاهرة تتخذ شكلا خطيراً حين يكون الأمر متعلقاً باليهود . فمن المؤلم والخطير معاً ان تظهر نظريات متطرفة ، أدت في الماضي القريب الى ملايين الضحايا . وعلينا ان نكافح بقوة ضد أمثال هذه التعميات الرهيبة . وينبغي ان يدرك العرب ، حتى مع تسليمنا بأن الصهيونيين قد آذوهم كثيراً ، بأن هذه ظاهرة طبيعية في علاقات الشعوب ببعضها ، وأن هذا الأذى قد ألحقه بهم يهود صهيونيون ، لا مجموع اليهود في الماضي والحاضر والمستقبل . ومن المؤكد اننا لن نصل في هذا المجال إلا الى نجاح محدود مادامت المشكلة التي أوجدتها الصهيونية قائمة . وتزداد الحال سوءاً حين يردد الصهيونيون انفسهم بأن الصهيونية هي المآل الطبيعي لكل التاريخ اليهودي ، وانها ظاهرة ترتقي الى جوهر

اليهودية ، وانهم يطالبون جميع يهود العالم بأن يتضامنوا معهم . ولقد حصلوا على شيء كبير من هذا . ومهما يكن من أمر تفهمنا لمثل هذا التضامن فمن المحقق انه اسهم جزئياً في تحويل مناهضة الصهيونية الى مناهضة للسامية .

على أية حال ينبغي أن نميز تمييزاً واضحاً بين مناهضة السامية — كما تمارسها أوروبا — وبين مناهضة الصهيونية لدى العرب .

* * *

وهناك أخيراً رأي صهيوني شائع يعزو النزاع الى ظاهرة النزوع الى الوحدة لدى العرب . وإذا فهمنا المنطق الداخلي الخفي لهذا الرأي فان معناه ان على كل بلد عربي ان يدافع فقط عن مصالحه الخاصة : التونسيون يدافعون عن مصالح تونس ، والسوريون عن مصالح سورية ، وهكذا . وأن قدوم هؤلاء وأولئك للحرب في سبيل قضية عرب فلسطين ليس له سوى اسباب « امبريالية » . ويضيف اصحاب هذا الرأي ان عرب فلسطين لو كانوا وحدهم في الميدان لأمكن بسهولة عقد اتفاق بينهم وبين الاسرائيليين . ومن المسلم به ان مثل هذا القول الأخير مشكوك بصحته ، خاصة حين نعلم أن اكثر المتحمسين للكفاح ضد اسرائيل إنما هم ابناء فلسطين أنفسهم .

ومن الغريب فعلا أن يَشجب حقّ الشعور بالتضامن لدى العرب اولئك الذين ينادون بوجوب تضامن جميع يهود العالم مع اسرائيل . فمن المعروف ان بين العرب في مختلف اقطارهم صلات تاريخ وثقافة مشتركة ، وانهم جميعهم عاشوا هذه الصلات على شكل جماعات متجانسة ومتماسكة قومياً منذ

عصور طويلة . وعلى العكس فان الصلات بين اليهود ، كما رأينا ، كانت واهية بحيث أنه لم تكن لهم حتى لغة واحدة ، واللغة هي الحد الأدنى من الثقافـــة المشتركة . ان باستطاعة العرب أن يتوحدوا أو أن يظلوا متفرقين ،وليس من حق أحد أن يلومهم على وحدتهم ، سواء كانت كاملة او ضعيفـــة ، ماداموا لا يوجهون هذه الوحدة من أجل اغتصاب أراض اجنبية ،كما ان احداً لم ينتقد الايطاليين اثناء نضالهم في سبيل وحدتهم ، حين هب ابناء بيمونت لنصرة ابناء لومبارديا وفينيسيا ضد الاحتلال النمسوي الهنغاري .

* * *

يبقى إذن وصف النزاع بأنه نضال ضد احتلال اجنبي غير مقبول ، هو الوصف الوحيد الصحيح الذي يفسر لنا آلية تطور هذا النزاع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد رفض العرب ، في جميع مراحل النزاع ، قبول الأمر الواقع الذي تم على حسابهم ، بدون موافقتهم ، وبفعل القوة الاسرائيلية ودعم العالم الاوروبي ـ الامريكي لاسرائيل .

وثمة حجة جديدة تمنح القضية العربية حقاً شبه مطلق . انها حجة شائعة لدى فريق من اليسار العالمي ، ومفادها أن اسرائيل قاعدة للأمبريالية ، وأن مجرد بقائها تهديد للتقدم والحرية في العالم عامة ، وفي العالم العربي بوجه خاص .

من المحقق أن اسرائيل ، بحكم منشئها الاستعماري ، وبحكم عداء العرب لها ، قد انتهت الى أن تعتمد على القوى الأوروبية والامريكية التي حمتها . ثم

ان اسرائيل ، من الناحية المالية ، تعتمد الى حد كبير على الجماعات اليهودية الامريكية النافذة في أعماق الولايات المتحدة . وهناك من يصنف اسرائيل ، من حيث مستوى الحياة فيها ومن حيث تقنيتها ، في عداد البلاد المتقدمة .

فهي إذن ، كما أراد لها هرتزل أن تكون ، رأس جسر للعالم الصناعي الرأسمالي في وسط عالم آخذ بالنمو .

إلا أن اسرائيل لايبدو عليها أنها تشترك بشكل هام في مشاريع استثمار العالم الثالث التي يضعها العالم الصناعي . كما أن إمكاناتها التقنية تصبح ضيقة بحكم ضيق الأرض التي تنتشر فوقها ، وبحكم المصاعب التي تعانيها من جيرانها المباشرين ، وبحكم تبعيتها الاقتصادية للدول الرأسمالية الأوروبية والامريكية .

فانتماء اسرائيل للعالم الغربي يرتد الى اعتبارات سياسية اكثر من ارتداده الى بنيتها الاقتصادية . ان اختيارها ناشىء عن عوامل سبق أن تحدثنا عنها . وهذا الاختيار يجعل من العسير على البلاد الاشتراكية وعلى بلاد العالم الثالث وعلى العناصر التقدمية في العالم أن تقف الى جانب اسرائيل في نزاعها مع العرب . فالواقع أن الجماهير العربية تشارك العالم الثالث في تطلعاته الى : الاستقلال ، والتطور في اتجاه عصري . ولأسباب لاتخفى على أحد ، تدفع هذه التطلعات الجماهير الى مقاومة نزعات الغرب الرامية الى استمرار تفوقه الاقتصادي والسياسي . ان اندفاع الجماهير وراء هذه الأهداف هو من القوة والعنف بحيث يرغم الحكومات ، حتى المترددة منها ، على أن تظهر بمظهر المتبني لهذه التطلعات ، وأن تتخذ تدابير مشخصة في اتجاهها ، بل إنها تأتي أحياناً بحكومات

صادقة في عزمها على تحقيق هذه الأهداف . فطبيعي أن تعتبر الجماهير العربية اسرائيل مستعمرة للغرب ، وتابعاً للغرب من الناحية السياسية ، وأن ترى فيها بصورة خاصة قاعدة لهذا الغرب البغيض ، قاعدة ينبغي تدميرها كلياً . ومن العسير جداً على أولئك الذين يشاركون الجماهير في تطلعاتها هذه أن يقاوموا هذه التطلعات أو يقفوا في وجهها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امكانات التنسيق الصناعي
بين البلاد العربية

يحيى عرودكي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اولا — الدول النامية ومشكلاتها الاقتصادية :

في تيار الظواهر الاقتصادية الحديثة التي يعيشها عالمنا اليوم من التكتلات الاقتصادية والأسواق المشتركة والأخذ بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وعقد اتفاقيات التعاون الاقتصادي وقيام المؤسسات والهيئات الاقتصادية الدولية والاقليمية وغير ذلك من الظواهر الأخرى ، تقف الأمة العربية في جميع أقطارها تلتمس مكانها بين الأمم الأخرى بعد أن استيقظت من سبات عميق دام اكثر من (٤٠٠) عام بين

حكم السلطنة العثمانية وحكم الانتداب الانكليزي أو الفرنسي ، الا أن البحث لم يطل بها ، ذلك أن حالة التخلف الاقتصادي والاجتماعي الذي تعيشه من الوضوح بحيث لا يترك لها مجالاً للتشكيك فيما تعانيه من مشاكل اقتصادية واجتماعية تتجلى مظاهرها بالآتي :

١ - انخفاض معدل نمو الدخل القومي عن مثيله في البلدان المتقدمة اقتصاديا بسبب عدم استغلال الموارد الطبيعية والقوة البشرية المتوفرة في البلدان العربية على الوجه الأفضل .

٢ - الاعتماد بشكل رئيسي على قطاع الزراعة كمصدر أساسي من مصادر الدخل القومي في معظم البلدان العربية ، مما يعرضها في سنوات الجفاف أو ظهور بعض الأمراض المفاجئة لانخفاض مداخيلها القومية بنسب كبيرة .

٣ - ضيق السوق الاقليمية لكل من الاقطار العربية عن استيعاب فائض ثرواتها الطبيعية وانتاجها الزراعي أو الصناعي .

٤ - انخفاض الانتاجية وارتفاع تكاليف الانتاج بسبب ضعف الاطارات الفنية من جهة وعدم استخدام المنجزات الحديثة في الصناعة والزراعة من جهة أخرى . الى جانب ضعف امكانيات النقل والمواصلات من جهة ثالثة .

٥ - الخلل الملحوظ بين مختلف القطاعات الانتاجية بسبب عدم اتباع تخطيط شامل يؤمن التوازن بين هذه القطاعات من جهة وبين فروع كل من هذه القطاعات (كالتوازن في تمدد الصناعات الرأسمالية والصناعات الاستهلاكية) من جهة أخرى .

ان هذه المظاهر وغيرها مما تعانيه عادة الأمم النامية ، كان في الماضي القدر الذي تحاول الدول القوية والمتقدمة صناعياً أن تدخل في روع الدول النامية

أنه لا يمكنها الخلاص منه حتى تبقيها في دائرة تبعيتها واستغلالها . الا ان ما حققه بعض الدول النامية كبعض بلدان اوربا الشرقية والصين الشعبية وغيرها من النجاح في التحول الى زمرة الدول المتقدمة اقتصاديا لم يعد يترك مجالاً للشك بامكانية خلاص الأمم الأخرى ، ومنها الأمة العربية ، من امراض التخلف الاقتصادي والاجتماعي باعتمادها التنمية الاقتصادية كسبيل سليم للقضاء على تلك الأمراض التي تنهش جسمها .

ويجب ألا يغيب عن بالنا أن النجاح الذي حققه بعض الدول النامية في تقدمها الاقتصادي وتطورها الاجتماعي انما كان يعتمد بالدرجة الأولى على جهودها الخاصة في تعبئة واستغلال مواردها ، لأن هذا الجهد هو الذي يحدد معدل نموها وبشكل الأساس للمعونة الخارجية التي قد تضطر للاستعانة بها كما يحدد وجوه استعمالها بالكفاءة اللازمة .

واذا كانت البلدان العربية قد عرفت الطريق لتطوير اقتصادياتها بانه طريق التنمية ، فان تحقيقها معدلات متزايدة من التنمية يقتضيها تجاوز جميع العقبات والصعوبات التي تعترض سبيلها ، ولقد باشرت كل منها العمل في نطاقها الاقليمي بأشكال وأساليب متعددة وتمكن بعضها أن يسير في طريق تطوير هياكله الانتاجية واقامة قطاع صناعي جديد لديه ، في حين سار بعضها الآخر في التركيز على القطاع الزراعي دون غيره وبقيت بلدان عربية ثالثة في مكانها قانعة بالتخلف الذي تعيشه . ومثل هذا الوضع طبيعي ومنطقي وفيه بعض الحل لمشكلة التخلف الصناعي الذي تعيشه البلدان العربية ، إذ ربما يتيح فرصاً أوفر للاسراع بالتنمية الصناعية إما لهذا البلد أو ذاك اذا كان يملك امكانيات أكبر من ناحية الموارد والطاقات والأموال والخبرات . الا أنه من المؤكد أن التنمية

الصناعية في البلدان العربية يجب أن تهدف الى تحقيق أكبر قسط من المنفعة لكل بلد بصفته الفردية ثم لمجموعة هذه البلدان .

واذا كان الانتاج الزراعي بمعناه العام كرأس مال هو العامل الرئيسي للأمة في مراحل نموها الأولى فان هذا الانتاج يبقى محدوداً في توفير حاجات بلد من البلدان من العملات الأجنبية بشكل متوازن وثابت لأن الأراضي الصالحة للزراعة تبقى محدودة كما أن الزراعة تؤمن سلعا محدودة تتعرض دوماً لعوامل الطبيعة ولأسعار المنافسة الدولية ، وسورية من البلدان التي عانت من هذا الوضع وآثار سنوات الجفاف التي مرت بها خلال السنوات العشر الأخيرة لم تنته بعد ، في حين أن بامكان الصناعة أن توفر العديد من السلع بشروط أكثر ثباتاً وبما يحول دون كثير من المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها البلدان الزراعية كالتضخم واختلال التوازن المالي وتأخير عملية وبرامج التنمية الاقتصادية لديها .

ولكن التحول من الاقتصاد الزراعي الى الاقتصاد الصناعي وبصورة خاصة بالنسبة للبلدان العربية يلقي العديد من التساؤلات يأتي في مقدمتها :

١ — تحديد مواقع الصناعات وهل يترك أمر اقامة المشاريع الصناعية تبعا للرغبات الفردية أو الاقليمية ؟؟ .

٢ — تحديد حجم المشاريع الصناعية وقدرتها على التمدد الأفقي والشاقولي .

٣ — مدى ضرورة الانسجام في خطط التنمية الاقتصادية بين الاقطار العربية اذا كانت المذاهب الاقتصادية التي تأخذ بها متباينة .

٤ ـ كيف يمكن تأمين التمويل الكافي لتنفيذ خطط التنمية الاقتصادية عندما تنفرد الاقطار العربية كل منهـــا بتنفيذ خطتها بعزل عن خطط الأقطار الأخرى .

وفي رأينـــا أن التنسيق الصناعي هو الذي يمكن أن يجيب على هذه التساؤلات وغيرها وأن يجد لها الحلول والاجابات العلمية التي تعالج كل منها على ضوء واقع هذه البلدان ومستقبلها . فما هو مفهوم التنسيق الصناعي ؟؟ وما هي مبررات الأخذ به ومقوماته بين البلدان العربية ؟؟ وما هي الاشكال التي يمكن أن يتم بها بين تلك البلدان ؟؟ وما هي فوائد هذا التنسيق والشروط التي يقتضي مراعاتها للقيام به ؟؟ .

ثانياً ـ مفهوم التنسيق الصناعي :

يقصد بالتنسيق الصناعي توزيع المشاريع الصناعية بين البلدان المعنية في ضوء الامكانيات الاقتصادية والفنية والموارد الطبيعية والطاقات البشرية لكل من هذه البلدان بهدف اطلاق حركة متسارعة لتعزيز الفاعلية الاقتصادية لتلك البلدان منفردة ومجتمعة .

ولكن هذا المفهوم ليس من الضيق بحيث يحملنا على التفكير بأن التنسيق انما يتناول فقط المشاريع التي سوف تقوم بين البلدان العربية ، وانما يتسع حتى يشمل المشاريع القائمـــة حيث يربط بينها وبين الظروف والشروط الطبيعية والموضوعية التي تعمل فيها ، فهو يعني أول مايعني بدراسة امكانيات وفرص النجاح المتوفرة لها سواء من حيث الموقع الجغرافي لهذه المشاريع ومدى قربها من مواطن موادها الأولية ومراكز الاستهلاك الكثيف لها ونقاط التصدير الى الخارج ومدى توفر اليد العاملة والفنية اللازمة لها ، الى جانب بحث مدى تكاملها وتآلفها مع

غيرها من المنتجات والصناعات الأخرى . ومثل هذه الدراسة وما تؤدي اليه من توزيع للمشاريع بين البلدان العربية انما يعني تطبيق مبدأ تقسيم العمل الدولي الذي أخذت به أمم اخرى وحققت عن طريقه افضل النتائج. وهو أمر ضروري لتفاعل الاقتصاديات العربية على نطاق أوسع بالسوق العالمية ، لأنه يساعد على التوفيق بين نفقات التوظيف المـالي والامكانات الحقيقية وعلى التغيير من بنية التوظيفات المذكورة . وهو بذلك ايضاً يفسح أمام البلدان العربية مجال حل المسائل التي يطرحها انتاج متفاوت غير متلاحم وأهليات ليست في افضل حالاتها واستخدام ناقص للكفاءات ، وانتاج صغير للسلع الموحدة الأنماط .

ثالثاً ـ مبررات التنسيق الصناعي بين البلدان العربية ومقوماته :

ان ما حققه التقدم العلمي والتكنولوجي في فروع الانتاج المختلفة وما بلغته الدول المتقدمة صناعياً عن هذا السبيل من القدرة على الانتاج الكبير وعلى تسويق هذا الانتاج بأفضل الاسعار والشروط وما جأت اليه من التحكم في الحصول على المواد الأولية او نصف المصنوعة بالاسعار والشروط الملائمة لها ، يضع الدول النامية امام واقع وتجربة .

ـ واقع تحاول الدول المتقدمة صناعياً أن تبقيها في اطاره فلا تخرج من أصفاده .

ـ وتجربة خاضتها بعض الدول النامية ونجحت في تطوير اقتصادها بحيث أصبحت في عداد الدول المتقدمة صناعياً .

ولكن بلوغ هذه المرحلة يلقي على عاتق الدول النامية ومنها البلدان العربية أعباء عديدة يأتي في مقدمتها :

١ ـ توفير رؤوس الاموال اللازمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٢ ـ الارتقاء بالانتاج والوصول به الى مستوى الانتاج الكبير .

٣ ـ توفير الاسواق الكافية لتسويق هذا الانتاج الكبير .

وتحمُّلُ مثل هذه الاعباء من جانب كل من الاقطار العربية منفردة أمر يفوق طاقات القطر الخاصة خصوصاً اذا أخذنا بعين الاعتبار وضع القطاع الصناعي في كل من الاقطار الذي نوجزه بالآتي :

١ ـ تؤلف الصناعات الاستهلاكية والخفيفة الجانب الاكبر من القطاع الصناعي في معظم الاقطار العربية ، كالنسيج والغزول واستخراج الزيوت في سورية والعربية المتحدة ، والخمور وزيت الزيتون في تونس والجزائر والمغرب ، أما الصناعات الثقيلة او الرئيسية فتكاد لاتذكر ، حيث أقيم بعضها في العربية المتحدة كمعمل الحديد والصلب وصناعة بعض المواد الكيماوية وبعض مصافي النفط في الكويت والسعودية والعراق وسورية ولبنان والاردن وليبيا والجزائر .

٢ ـ ان الطابع الغالب على المؤسسات الصناعية في البلدان العربية هو طابع المؤسسات الصغيرة ، حتى انه ما زال جزء غير يسير من هذه المؤسسات تغلب عليه صفة المؤسسات الحرفية .

٣ ـ ما زال الكثير من المؤسسات الصناعية في البلدان العربية يعمل بعيداً عن المستحدثات التي بلغتها وتستخدمها المشاريع الصناعية في البلدان المتقدمة ، اي انها مازالت تعتمد على الخبرة المكتسبة والطرق البدائية .

٤ ـ ان انتاج بعض البلدان العربية من الوفرة بحيث تضيق السوق الداخلية للقطر عن استيعابه ، وهو يتطلع دوماً الى الانطلاق خارج تلك السوق الا أنه يصطدم بالحدود والقيود المفروضة على الاستيراد في الاقطار العربية الاخرى .

٥ ـ ان المشاريع الصناعية القائمة في البلدان العربية لم تتمكن حتى الآن

من استغلال كافة الموارد الطبيعية والطاقة البشرية التي تزخر بها هذه البلدان، وان ما استغل منها حتى الآن هو دون الامكانيات الاقتصادية الميسورة لديها .

وتبعاً لهذه العوامل فان الصناعة في البلدان العربية لم تقف على قدميها بدون الحماية الجمركية التي بلغت بالنسبة لبعضها معدلات عالية ، كما أن بعضها الآخر لم يستطع المضي دون الاستعانة بتدابير المنع والقيود الكمية والادارية التي طبقت بوجه المنتجات المماثلة بما فيها منتجات الاقطار العربية الاخرى .

وقد نجم ذلك بالطبع عن ارتفاع تكاليف الانتاج ووجود بعض الهوامش في تلك التكاليف التي كان من الميسور الاستغناء عنها فيما لو كانت المشاريع الصناعية قد أقيمت على أسس اقتصادية سليمة اخذت في الحساب الاعتبارات التالية التي يتسم بها العالم العربي :

١ ـ ان البلدان العربية جميعها تعتبر من البلدان النامية وهذا ما يسهل عملية التنسيق الصناعي بينها ويحول دون كثير من الصعوبات التي يمكن ان تصطدم بها مثل هذه العملية فيما لو كانت هذه البلدان قد سارت خطوات واسعة في التصنيع قبل التنسيق .

٢ ـ ان البلدان العربية تتمتع بموقع جغرافي ممتاز بين ثلاث قارات حيث تمتد من ساحل الخليج العربي في الشرق الى ساحل المحيط الاطلسي في الغرب ومن جبال طوروس وطول الساحل الجنوبي للبحر الابيض المتوسط شمالا الى المحيط الهندي وأواسط القارة الافريقية جنوبا .

كما تتمتع هذه البلدان بمناخ يتراوح بين المعتدل والقاري والاستوائي .

٣ ـ تمتلك الاقطار العربية قوة سكانية كبيرة يمكن أن تؤمن للمشاريع الصناعية اليد العاملة من جهة والأفواه المستهلكة الكافية من جهة اخرى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ — ان في الوطن العربي بلداناً كالكويت وإمارات الخليج العربي والسعودية تكاد لا تنتج شيئاً من المنتجات الزراعية ، في حين نجد بلداناً عربية اخرى كسورية والمتحدة ولبنان والجزائر تشكو من وفرة انتاجها الزراعي وصعوبة تسويقه .

كما ان هناك اقطاراً اخرى عربية تبيع الفائض الكبير من النفط والثروات الطبيعية الاخرى كالبوتاس والفوسفات المنتج لديها الى البلدان الأجنبية لتقوم بتصنيع هذه المنتجات ثم بيعها من جديد لتلك الاقطار وغيرها من البلدان العربية وغير العربية بأرباح مذهلة .

ومما لاشك فيه أن عملية التنسيق الصناعي بين البلدان العربية سوف تساعد على حسن استغلال هذه الثروات وتحول دون ضياع وفوات الارباح التي تحصل عليها البلدان الأجنبية من جراء الوضع الذي تتردى فيه الاقتصاديات العربية .

٥ — ان بعض الاقطار العربية قد اختصت بأنواع محدودة من الانتاج الصناعي كالاقمشة القطنية في سورية والمتحدة ،والحريرية في سورية، والاطارات والحديد في المتحدة،والخمور وزيت الزيتون في تونس والجزائر،في حين أن أقطاراً أخرى كالاردن وليبيا والسعودية والعراق تستورد بعض هذه المنتجات من بلدان اجنبية ، او تحاول ان تقيم في أراضيها صناعات مماثلة دون أن تأخذ بعين الاعتبار الصناعات القائمة في الاقطار العربية الاخرى على ضوء الامكانيات المتوفرة لديها والظروف الموضوعية التي يتطلبها نجاح تلك الصناعات .

وليس كعملية التنسيق الصناعي مايحول دون تشتت وضياع رؤوس الأموال في توظيفات محدودة ليست بذات فائدة كبيرة على المدى الطويل .

٦ — تكاد الأراضي الزراعية أن تكون معدومة في الكويت وقطر

ونادرة في السعودية وضيقة في العربية المتحدة ولبنان والأردن وميسورة في سورية ومتوفرة الى حد التبذير في العراق ، الأمر الذي يؤدي الى تباين كبير في كثافة استعمال الارض وانتاجيتها . ولهذا فان قيام تنسيق صناعي بين الاقطار العربية من شأنه ان يسهم في حسن استثمار واستغلال تلك الاراضي من جهة وفي توفير الأسس الاقتصادية الثابتة لكل من هذه الاقطار تبعاً لطبيعتها ومدى وفرة الانتاج الزراعي أو ندرته أو مدى وفرة الثروات الطبيعية او ندرتها لدى كل منها .

٧ ـ تعتبر اليد العاملة من أهم عناصر الانتاج ، وهي تلعب دوراً بارزاً في كل عمليات التنمية الاقتصادية في العالم ، ومن الطبيعي أن تلعب اليد العاملة في الاقطار العربية دوراً هاماً في تطوير وتنمية هذه الاقطار ، الا أنه تجدر الاشارة الى أن بعض الاقطار المذكورة كالأردن والجزائر والسودان والمغرب يشكو وفراً باليد العاملة لديه ، في حين ان اقطاراً أخرى بحاجة متزايدة الى اليد العاملة لديها وخاصة الفنية وذات الاختصاص كالكويت والسعودية والعراق والامارات العربية في الخليج .

ومامن شك بأن عملية التنسيق الصناعي بين الاقطار العربية سوف تؤدي الى امتصاص الفائض من اليد العاملة في الاقطار التي لديها فيض منها وذلك تبعاً للمشاريع التي يتقرر اقامتها في تلك الاقطار على ضوء الظروف الموضوعية لديها ومنها اليد العاملة .

٨ ـ اذا كانت اليد العاملة تعتبر من اهم عناصر الانتاج فان رؤوس الأموال تعتبر العمود الفقري للتنمية الاقتصادية . واذا كانت بعض الاقطار العربية بحاجة ماسة لرؤوس الاموال لاستثمارها في مشاريع التنمية لديها ، فان

اقطاراً أخرى عربية تتوفر لديها مثل هذه الاموال الى حد التخمة حتى أصبحت وفرتها تسبب لها نقصاً في معدلات أرباح استغلالها نتيجة ضآلة فرص التثمير لديها ، واضطرارها لايداعها في المصارف الأجنبية . وماحديث الخسارة التي اصابت رؤوس الأموال العربية في المصارف الانكليزية نتيجة تخفيض الجنيه الاسترليني ببعيد عنا .

ولهذا فان قيام تنسيق صناعي بين الاقطار العربية من شأنه ان يفتح مجالات تثمير رؤوس الأموال العربية الفائضة لدى بعض الاقطار في مشاريع مضمونة النتائج وأن يبعث الأمل امام اصحاب تلك الأموال في الحصول على فرص أوفى في تثمير أموالهم في نفس تلك الاقطار او في الاقطار العربية الشقيقة الأخرى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩ – ان الوحدة العربية بين أجزاء الوطن العربي التي تنادي بها شعوب الامة العربية والتي ضحت مختلف هذه الشعوب الكثير في سبيلها ، انما هي حقيقة ثابتة تعيش في ضمير كل عربي ، لأن الاقطار العربية لها من مقومات الأمة الواحدة كالتاريخ المشترك واللغة والعادات والمصالح الاقتصادية المتشابكة جذوراً عميقة تجعل جميع الفوارق الاصطناعية التي أقامها الاستعمار وتسعى الصهيونية لترسيخها في أقطار الوطن العربي عرضية زائلة تزول جميعها بيقظة الوجدان العربي في تلك الاقطار .

كل هذه الاسباب وغيرها تجعل تحقيق التنسيق الصناعي بين أجزاء الوطن العربي ضرورة مبرمة ، وتستبين من خلال الفوائد الكبيرة التي يمكن ان تجنيها مختلف الاقطار العربية على امتداد الوطن العربي واتساعه .

رابعاً – الأشكال والأساليب التي يمكن ان يتم بها التنسيق الصناعي بين البلدان العربية .

تختلف الاشكال والاساليب التي تتبع لتحقيق تنسيق صناعي بين بلدين أو اكثر باختلاف المستوى الاقتصادي لهذه البلدان والعلاقة التي تربط بينها .

فهناك التنسيق الآمر او الجبري الذي يتم عادة بين بلدين أحدهما تابع للآخر عن طريق الاحتلال او الانتداب او الاستعمار ، وفي هذه الحال يكون هناك بلد قوي يتحكم باقتصاد بلد مستضعف ، فيفرض عليه نوعاً من التخصص في الانتاج بحيث يحصل البلد القوي على الثروات الطبيعية والمواد الأولية بشكلها الطبيعي او نصف المصنوع من البلد الآخر ليقوم هو بتصنيعها ثم اعادة تصديرها لذلك البلد مصنوعة او محولة بأسعار تفوق بكثير قيمتها التي استوردت بها وهي بحالتها الطبيعية أو نصف المصنوعة .

وهذا الشكل من التنسيق يمكن ان نلحظه خلال فترة الانتــــداب الانكليزي والفرنسي على سورية ولبنان ومصر والعراق وبلدان شمال أفريقيا وفي المستعمرات التي كانت تحت سيطرة الاستعمار الانكليزي او الالماني او الايطالي وغيره . الا انه لا ينطبق على البلدان العربية في الوقت الحاضر ، كما أنه يعتبر وضعاً غير طبيعي لعلاقات تقوم على غير المساواة وعلى نوع من التعسف باستعمال الحق من مركز القوة .

وهناك التنسيق الاطاري الذي يفترض عدم وجود أية مزايا موروثة لأي بلد يشترك بهذا التنظيم مما يمنحه أي تفوق حاسم على بقية البلدان المشتركة بالتنظيم المذكور أي أنه يفترض تقارب المستوى الصناعي بين مختلف بلاد التنظيم كما يمنع على أي من هذه البلدان أن ينتهج سياسة اقتصادية تتضارب ومصالح البلدان

الاخرى في التنظيم اذا كان من شأن تلك السياسة تقوية مركزه التنافسي بوسائل مصطنعة، وهذا بلا شك يتطلب من جميع بلدان التنظيم الاطاري الاتفاق على جميع الأهداف والوسائل الهامة في السياسة الاقتصادية كالأعباء الضريبية والاجتماعية ومعدلات الأجور والاسعار بما في ذلك سعر النقد المتداول بينها وغير ذلك من الأمور الاخرى ذات العلاقة بالسياسة الاقتصادية لكل من تلك البلدان .

ان هذا الشكل من التنسيق يؤدي الى إتاحة الفرصة أمام جميع المشاريع الصناعية القائمة في بلدان التنسيق للاستفادة من السوق الواسعة وبالتالي الارتفاع بانتاجها الى أقصى طاقاته، كما يؤدي من ناحية ثانية الى قيام المناقشة بينها على امتداد رقعة تلك البلدان بما يفرض عليها بذل الجهود لتخفيض تكاليف الانتاج وتحسين المنتجات، اما الصناعات التي لا تستطيع الصمود فمن الطبيعي ان تتوقف لتبقى الصناعات القوية دعامة ثابتة وراسخة في الكيان الاقتصادي المجموعة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهناك نوع آخر من التنسيق الصناعي يتم عن طريق التخطيط المتفق عليه بين البلدان المشتركة في تنظيم اقليمي، كالتنسيق الذي تم بين البلدان الاشتراكية المنضمة لمنظمة (الكوميكون) حيث تقرر الاسعار لا على أســـاس المنافسة وانما في ضوء اعتبارات عديدة، وفي الواقع فان التنسيق الصناعي بين بلدان هذه المنظمة يتم على أساس تقسيم العمل الدولي ضمن الاعتبارات المصلحية لمجموعة الدول الاعضاء بشكل عام وللدول الأكثر قوة واقتداراً بشكل خاص .

وفي جميع هذه الأشكال فان عملية التنسيق لابد من أن تواجه القطاع الصناعي في البلدان المشتركة بالتنسيق وهو في أحد الأحوال التالية :

١) المشاريع الصناعية غير القائمة وغير المدرجة في خطط التنمية بعد .

٢) المشاريع الصناعية غير القائمة والملحوظة في خطط التنمية والتي تنتظر دورها في التنفيذ .

٣) المشاريع الصناعية الحديثة التنفيذ او التي هي قيد التنفيذ .

٤) المشاريع الصناعية القائمة في زمن سابق للتنسيق .

ولقد عمدت اللجان المختلفة التي كلفت من قبل المجلس الاقتصادي العربي او مجلس الوحدة الاقتصادية العربية لبحث موضوع التنسيق الصناعي بين البلدان العربية الى جمع الاحصائيات والمعلومات من الدول العربية الاعضاء حول مختلف هذه الحالات بأمل الوصول الى تقرير شكل ثابت للتنسيق الصناعي بين الدول الاعضاء الا انها لم تتوصل الى شيء حتى الان بهذا الشأن . وفي رأينا ان هـذا البطء انما نجم عن مخاوف بعض الدول العربية من ان تؤدي عملية التنسيق الى تأخير تنفيذ خطط التنمية لديها عن المواعيد المقررة لها من جهة والى رغبة بعضها في الإسراع باقامة بعض الصناعات لديها بأمل ان تفرض على بقية الدول الأمر الواقع من جهة ثانية . ثم خشية دول عربية اخرى لم تباشر بعد عملية التصنيع لديها من ان يؤدي ارتباطها بمثل ذلك التنسيق الى عدم تمكينها من اقامة المشاريع التي ترغب بها في المستقبل من جهة ثالثة .

وجميع هذه المبررات في تأخير عملية التنسيق لايمكن قبولها كأمور مسلم بها للتغاضي عن ذلك البطء لأن الموضوع يجب ان يبت به على ضوء ما اذا كانت هناك ضرورة للتنسيق أم لا . وقد بينا فيما سبق بحثه مبررات مثل هذا التنسيق ومقوماته بين البلدان العربية .

ولعل في تحديد الخط الرئيسي لتنمية الصناعة في البلدان العربية وما اذا كانت ستقوم على أساس منهاج النمو المتوازن او منهاج النمو غير المتوازن ما يحل

الأشكال والعقدة التي تعاني منها البلدان المذكورة من دعم عملية التنسيق الصناعي فيما بينها .

ذلك ان منهاج النمو المتوازن يقتضي ان يكون نمـاء مختلف قطاعات الاقتصاد القومي نماء متشابهاً بحيث تحقق هذه القطاعات بمجموعها تنمية متكاملة سليمة . وهذا يتطلب ان تقوم في وقت واحد مجموعة من الصناعات الجديدة يكون كل منها مكملاً للأخرى ، وهو أمر يتوقف تحققه على حجم الاستثمارات التي يمكن ان تخصص لإقامة مثل هذه المشاريع .

في حين ان منهـاج النمو غير المتوازن يعني بأن يسير النمو في مختلف قطاعات الاقتصاد القومي بشكل مرتب ولكن غير متناسب ودون ان يخرج احد القطاعات عن خط سير النمو . وهذا المنهاج يتطلب بأن يكون معـدل النمو منخفضاً في المراحل الأولية ثم يسرع كثيراً فيما بعد .

وهذا المنهاج قد جرى تطبيقه في الاتحاد السوفييتي في الخطة الخمسية الاولى واتبعته الدول الاشتراكية في شرق اوروبا لأنها عن طريقه استطاعت ان تعطي الأولوية للصناعات الرأسمـالية عن طريق عدم التوازن بينها وبين الصناعات الاستهلاكية في توزيع الاستثمارات .

وليس الترجيح بين هذين المنهاجين بالأمر العسير ، ذلك ان البلدان العربية في تطلعاتها الى المستقبل الذي تنعم فيه بالإزدهار الاقتصادي واللحاق بركب الامم المتقدمة اقتصادياً في انحاء العالم الاخرى ، انما تؤكد على ضرورة اقامـة قاعدة صناعية متينة تكون منطلقاً لهـا في تطوير اقتصادياتها وترسيخ جذورها لمواجهة التحديات التي تتعرض لها من التكتلات الاقتصادية في العالم وهذا لا يتم إلا بالأخذ بمنهاج النمو الصناعي غير المتوازن .

وهذا يعني ان يكون النصيب الأوفى من الاستثمارات والأولوية في التنفيذ والتنسيق للصناعات الثقيلة باعتبار ان هذا النوع من الصناعات يقلل على المدى القصير من الاعتماد على البلدان الاجنبية في الحصول على التجهيزات والأدوات والخبرات نتيجة اختصار المرحلة التي تصبح فيها التنمية الاقتصادية تتحرك ذاتياً . ويجب ألا نخاف من البطء الذي قد يجابه سير عمليـــة التنمية اذا رجحت البلدان العربية الصناعات الثقيلة لان تلك العملية ستصبح في الأجل الطويل سريعة جداً .

ولكن هل يعني ذلك ألا يكون للصناعات الخفيفة أي جانب من الاهتمام من جانب البلدان العربية ؟؟ الجواب لا ... الا انه عندما تتعارض مصلحة كل من هذين النوعين من الصناعات فان الافضلية يجب ان تعطى للصناعات الثقيلة التي تشبع طلباً يتجاوز حدود البلد الواحد ، والتي يكون اقامتها على أساس التخصص بين البلدان العربية مجزياً من الناحية الاقتصادية .

على ضوء ماتقدم فان عملية التنسيق الصناعي بين البلدان العربية يمكن ان تأخذ الشكل الآتي :

١ - يتم حصر المشاريع الصناعية الواردة في خطط التنمية لمختلف البلدان العربية الداخلة في تنظيم التنسيق والتي لم يبدأ بتنفيذها وتدرس الجدوى الاقتصادية لكل من هذه المشاريع وحجومها والاستثمارات التي تتطلبها والإمكانات القطرية والجماعية التي يمكن ان تسهم في تحقيقها ، ومدى الأولوية لكل من تلك المشاريع تبعاً لطبيعتها وما اذا كانت من الصناعات الثقيلة او الاستهلاكية وتدخل التعديلات الضرورية عليها او على بعضها تبعاً لمتطلبات التنسيق ، ثم يجري توزيعها بين البلدان الأعضاء في ضوء مختلف الاعتبارات سواء مايتعلق بالتوزيع الجغرافي او بمدى

توفر المواد الأولية وقربها الى مراكز الانتاج ، او توفر اليد العاملة والخبرة الفنية وغير ذلك من الاعتبارات الأخرى .

٢ – فيما يتعلق بالمشاريع التي بدىء بتنفيذها ولم تستكمل بعد فانه يجري حصرها وتحديد جميع المعلومات المتعلقة بها ، من حيث نوعيتها وأحجامها ومدى توافقها أو تعارضها مع المشاريع المماثلة القائمة في البلدان العربية الأخرى . وفي ضوء هذه المعلومات يمكن الاتفاق على ادخال بعض التعديلات عليها سواء بزيادة حجم هذه المشاريع أو تقليصها بالقدر المستطاع تبعاً للضرورات الاقليمية والجماعية التي تظهرها الدراسة .

٣ – أما فيما يتعلق بالمشاريع غير الواردة في خطط التنمية والتي لم تلحظ في خطط التنمية للدول الأعضاء فان أمر التنسيق بشأنها لا يصطدم بالصعوبات التي قد يصطدم بها تنسيق المشاريع الأخرى التي سبق الحديث عنها ، ومن الميسور الوصول الى اتفاق سريع بشأنها بين الدول الأعضاء ووضع خطط طويل المدى من اجل اقامة هذه المشاريع على اسس اكثر اقتصادية تأخذ في حسابها جميع اعتبارات السوق الواسعة والانتاج الكبير والتوطن الجغرافي وتوفير الأموال الكافية والاطارات الفنية اللازمة لها بحيث تظهر الى الوجود مشاريع صناعية من القوة بحيث تصمد وتكون القاعدة المنيعة للتنمية الصناعية في البلدان العربية .

٤ – اما ما يتعلق بالصناعات القائمة في البلدان العربية قبل بدء عملية التنسيق فيجب أن نفرق بين نوعين منها :

الأول : ويشمل الصناعات الصغيرة التي أقيمت في كل قطر تلبية لحاجات استهلاكية محدودة أو لظروف محلية كقربها من منابع موادها الأولية . ان هذا النوع من الصناعات يبقى محافظاً على وضعه تبعاً لظروفه الخاصة به .

والثاني : ويشمل الصناعات الأخرى ذات الانتاج النموذجي والتي تقف عندها عملية التنسيق حائرة بعض الوقت ، لأنه من العسير على البلد الذي قامت فيه أن يوافق على توقيفها لوجود صناعات مماثلة في بلد عضو آخر . وبهذا الصدد فان الحل الأقرب لمصلحة كل من البلدان العربية ان يتم نوع من التخصص في انتاج مثل هـذه المشاريع . فمثلاً في صناعة الأقمشة القطنية يمكن أن يختص بلد كسورية بانتاج الاقمشة من الغزول الثخينة ، وأن تختص العربية المتحدة بانتاج الاقمشة من الغزول الرفيعة . وفي صناعة الجوارب يمكن ان يختص بلد بانتاج الجوارب النسائية ، وآخر بانتاج الجوارب الرجالية ، او تلك المصنوعة من الخيوط الاصطناعية ، وآخر من المصنوعة من الخيوط القطنية او الصوفية . وفي صناعة المعلبات يختص بلد بانتاج معلبات الخضار وآخر بمعلبات الفواكه او عصيرها .

ومن الممكن بهذا الشأن أن يكون التخصص بالقيام باحدى مراحل الانتاج من قبل بعض البلدان والقيام بمراحل الانتاج من قبل بعض البلدان الأخرى كانتاج الاقمشة بصورة خامية في بلد ثم اقام عملية التهيئة والصباغ والتطبيع في بلدان اخرى .

ومن ناحية اخرى ، فانه يجب ألا يغيب عن البال ان معظم هذه الصناعات قد اقيمت على اساس قطري لتلبية حاجات القطر التي اقيمت فيه مع وجود فائض محدود للتصدير . وتنفيذ عملية التنسيق من شأنه أن يفتح أمام هذه الصناعات مجال الاستفادة من السوق الواسعة لجميع البلدان العربية مما يساعدها على النمو والصمود امام منافسة حرة تدفعها الى تحسين نوعية انتاجها والارتقاء به او الاندثار للمشاريع التي تؤثر الجمود على الحركة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن هل يجب ألا تبدأ عملية التنسيق الصناعي بين البلدان العربية الا اذا قبلت بها جميع تلك البلدان او معظمها ؟؟ .

من الطبيعي أنه كلما كانت قاعدة التنسيق واسعة كلما كانت النتائج الطيبة اجدى ، الا ان هذا لا يحول دون مباشرة عملية التنسيق على اساس ثنائي او ثلاثي بين البلدان العربية ، اذ من الممكن انتكون مثل هذه العملية المحدودة نموذجاً يحتذى في توسيع قاعدة التنسيق حتى تشمل عدداً أكثر من البلدان . وقد باشر القطر العربي السوري مثل هذه المحاولة مع العراق ومن المقدر ان تتسع لتشمل في القريب العربية المتحدة .

خامساً — فوائد التنسيق الصناعي بين البلدان العربية :

إن من شأن الأخذ بالتنسيق الصناعي بين البلدان العربية بلوغ مجموعة من النتائج الطيبة نشير الى اهمها فيما يلي :

١ — تخصص كل قطر ببعض فروع الانتاج الصناعي التي تساعد على نشوئه الظروف الخاصة للقطر بما لا يتوفر في الأقطار الأخرى .

٢ — نتيجة لهذا التخصص ، تتوفر وتكتسب مجموعة من الخبرات الفنية ويرتفع مستوى الكفاية الانتاجية كما تتحسن نوعية الانتاج الى القدر الذي يتيح له الصمود أمام المنافسة التي قد يلقاها في البلدان الاخرى من الانتاج المماثل الذي سبقه في هذا الميدان .

٣ — توفير عناصر الانتاج كرؤوس الأموال والمواد الأولية والاطارات الفنية مما كان يشكل عقبة قبل التنسيق امام كل قطر على حدة في كثير من الأحيان .

٤ — الاستفادة من مختلف الظروف والامكانات الطبيعية والبشرية

التي تمتلكها مختلف الاقطار العربية التي لا بد ان تبقى معطلة مدة طويلة من الزمن لعدم تمكن القطر بمفرده من الاستفادة منها واستغلالها بشكل اقتصادي بعيداً عن تدخل الدول الأجنبية .

٥ – وكنتيجة للفوائد التي سبق الاشارة اليها فان من شأن التنسيق الصناعي ان يمتد الى نواح اخرى في التعاون الاقتصادي العربي . يأتي في مقدمتها اتساع المبادلات التجارية بين البلدان العربية ونموها وما يستتبع ذلك من زيادة حركة النقل والمواصلات فيما بينها ، وبالتالي اتساع شبكة المواصلات وازدهار البلدان العربية عمرانياً وسياحياً نتيجة ارتفاع مستوى الدخل والقوة الشرائية لدى المواطنين .

٦ – ومن الطبيعي ان قيام قاعدة صناعية قوية في البلدان العربية وظهور انتاج على مستوى عال من الاتقان والجودة بتكاليف مقبولة من شأنه ان يتيح للبلدان العربية أن تقف في وجه التكتلات الاقتصادية في العالم وفي وجه الانتاج المماثل للدول المتقدمة اقتصاديا .

سادساً – الشروط الواجب مراعاتها عند اجراء التنسيق :

من المفيد ان نشير الى انه لا بد من مراعاة بعض الشروط والأمور عند مباشرة عملية التنسيق الصناعي بين البلدان العربية وذلك ضماناً للنتائج الطيبة المتوخاة من هذه العملية ولاستبعاد مواطن الخطأ التي يمكن ان تقع اذا لم تؤخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية والطبيعية لكل من تلك البلدان اذ ان عدم اقامة المشاريع الصناعية العربية على اسس اقتصادية سليمة مع ظهور ارباح هذه المشاريع انما يعني أننا نحمل المواطن والاقتصاد العربي اعباء لا موجب لها وبالامكان

الاستغناء عنها اذا ما احسن استخدام التنسيق بشكل صحيح ويأتي في مقدمة الشروط الواجب مراعاتها الآتي :

١ — مراعاة قرب المشروع من مواطن المواد الاولية والقوى الطبيعية كاقامة معامل الاسمنت قرب المقالع الخاصة بالحجر الاسمنتي واقامة معامل تعليب الخضار والفواكه بالقرب من الاراضي الزراعية المنتجة لها . واقامة مراكز توليد الكهرباء بالقرب من الشلالات .. الخ واذا كان هذا الشرط قد تدنت اهميته بمبتكرات العلم الحديث الا انه يبقى ذو اثر بالنسبة لتوزيع المشاريع الانتاجية بين البلدان العربية اذ من غير المجدي اقامة صناعة الغزل والنسيج القطني في بلد كالكويت او الاردن او السعودية وهي التي لا تتوفر لديها الاراضي الزراعية لانتاج القطن ، وعدم اقامتها في بلدان كالعربية المتحدة والعربية السورية والسودان وهي التي تنتج المادة الاولية المذكورة بكميات تزيد عن حاجات الاستهلاك المحلي .

٢ — مراعاة قرب المشروع من الاسواق الداخلية التي يعتمد عليها في الدرجة الاولى لتصريف انتاجه ومن منافذ التوزيع على العالم لتصدير الكميات الفائضة من هذا الانتاج .

٣ — حسن توزيع الاستثمارات على الصناعات ذات المردود الاوفى من جهة وتلك التي يمكن ان تساعد في سير اكبر عدد من المشاريع الصناعية الاخرى من جهة ثانية . اي ان الاستثمارات يجب ان توجه بالدرجة الاولى نحو الصناعات الثقيلة او تلك التي تؤمن منتجاتها سير عدد آخر من الصناعات كالمواد الكيميائية او مشتقات البترول وما شابهها .

٤ — الاستفادة من اماكن تجمع القوى العاملة الى القدر الذي تسمح به بقية العناصر الاخرى ، وهو شرط كان له الدور الاوفى في الماضي عندما كانت

امكانية انتقال الاشخاص غير ميسورة ، الا انه بتحسن وسائط وسبل النقل والمواصلات ، وبالتسهيلات التي سوف تمنحها الدول العربية الاعضاء في التنسيق لانتقال رعايا هذه الدول فيما بينها سوف يصبح موضوع تجمع القوى العاملة أقل اهمية عنه في السابق .

٥ – ضرورة اقامة مركز للمعلومات والاحصاءات للبلدان العربية الاعضاء في التنسيق يتولى مهمة جمع البيانات والمعلومات الاحصائية عن الاوضاع الاقتصادية في تلك البلدان وتصنيفها وايداعها الجهاز المركزي للتنسيق ، حتى يستطيع هذا الجهاز ان يتولى عملية التخطيط والمتابعة لعملية التنسيق .

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

وبعد فهذه خطوط عريضة ولمحات سريعة عن عمل التنسيق الصناعي بين البلدان العربية ، لا يسع المرء وهو يستعرض مبررات هذه العملية وفوائدها الا أن يقدر ضرورة العمل السريع لتحقيق هذه الخطوة الكبرى في التعاون الاقتصادي العربي الذي يعتبر احد الوسائل الهامة في ازالة آثار العدوان الصهيوني الغادر على الامة العربية وفي اقامة اقتصاد عربي متين يصمد امام تحديات الاستعمار والصهيونية ويحقق لها المنعة والقوة لمجابهة التكتلات الاقتصادية الاخرى في العالم والقدرة على الخلاص من احتكارات وتسلط الدول المتقدمة على ثروات الدول النامية واستغلالها . وان ما اخشاه اذا لم تبادر الدول العربية للاسراع بتحقيق تلك الخطوة الكبيرة بحيث نبقى نعالج قضايانا الهامة معالجة فاشلة أن تنعتنا الاجيال القادمة بالجهل والغباء والتأخر كما نعت من سبقنا من الاجيال في الوطن العربي عندما نتابع مسيرات الامم الاخرى التي حققت في نفس العصر انجازات عظيمة .

الشعر السوفييتي الحديث

صبري حافظ
– القاهرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

باستطاعتنا أن نسمي هذه السنوات بالنسبة للشعر السوفيتي بسنوات البعث الشعري، أو سنوات مؤامرة الشعر .. ففي تلك السنوات التي بدأت مع شتاء عام ١٩٦٠ وتمتد حتى اليوم، يعيش هذا الشعر واحدة من أزهى فترات حياته وأبهاها .. نافضاً عنه ركام الجليد الكثيف الذي تراكم فوقه عقب النهاية الفاجعة التي دمرت حياة أعظم من أطلا على أفق الشعر السوفيتي بعد الثورة، وأعني بهما سيرجي يزينين (١٨٩٥ - ١٩٢٥) وفلاديمير مايا كوفيسكي (١٨٩٣ - ١٩٣٠) ..

واستمر هذا الجليد الكثيف في التراكم حتى حال في الأربعينات بين الشعر والجمهور ، فاختنق الشعر الحقيقي لفترة طويلة تمتد من أوائل الأربعينات حتى أواخر الخمسينات . صحيح أنه كانت هناك في هذه الفترة عدة أصوات عذبة ورقيقة مثل باسترناك (١٨٩٠ - ١٩٦٠) وأنّا أخماتوفا (١٨٨٨ - ١٩٦٦) وتفاردوفيسكي (١٩١٠ -) وميخائيل سيفيتلوف (١٩٠٣ - ١٩٦٤) وميخائيل لوكونين (١٩١٨ -) وغيرهم . الا أن الجليد الكثيف استطاع أن يحد من انطلاق أصوات هذه الأوتار الشعرية الخصبة ، وأن يجهز تماماً على بعضها مثل أوسيب ماندلستام (١٨٩٢ - ١٩٤٣) . كما أنها كانت مجرد أصوات مفردة وسط جوقة حاشدة من الناظمين الغليظي الحس .. أصوات لم تتمكن - ولأسباب موضوعية عديدة - من التحليق بالقصيدة الروسية الى تلك الآفاق الرائعة من العذوبة والبساطة والشفافية التي انبتتها كتابات مايا كوفيسكي ويزينين في حروف القصيدة الروسية ، حيث أعادا اليها ذلك النبض المتوهج الذي افتقدته منذ أيام بوشكين (١٧٩٩ - ١٨٣٦) وليرمنتوف (١٨١٤ - ١٨٤٠) .

واستمر الشعر السوفيتي منذ غياب مايا كوفيسكي الدامي ، حتى ذوبان الجليد واندلاع شرارة هذه المؤامرة التي بدأت ارهاصاتها في السفور في اواخر الخمسينيات ثم اعربت عن نفسها بوضوح مع مطالع الستينيات . استمر الشعر السوفيتي يدور في حلقة مفرغة من الأصوات الباهتة والموضوعات المكرورة الفجة والخطب السياسية الميتة النبرات . حتى توهجت جذوة الشعر من جديد على ايدي هذا الجيل الشاب من الشعراء الموهوبين مثل أندريه فوزنيزينسكي وايفجيني يفتوشينكو وايجور فولجين وأناتولي بيريلوفيسكي والشاعرة المجيدة بيلا أخمادولينا التي بعثت هي الاخرى من جديد صوت الشاعرات الروسيات العظيمات من امثال

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

أنا أخماتوفا و مارينا تسيفيتايفا (١٨٩٢ - ١٩٤١) ومارجريتا إليجر (١٩١٥) واولجا بيرجولتس (١٩١٠) وغيرهن .

هؤلاء الشعراء الشبان الذين ولدوا مع الثلاثينات - ولد فوزنيزينسكي وايفتوشينكو عـــام ١٩٣٣ وبيربلوفيسكي عام ١٩٣٤ وفولجين عام ١٩٣٥ وأخمادولينا عام ١٩٣٧ - وتفتح وعيهم بعد ما اجتازت روسيا أعصب سنوات حياتها في التاريخ الحديث ، . سنوات الثورة بكل ويلاتها وحروبها الداخلية ثم الخارجية .. ثم سنوات البناء بآلامها العصيبة الطويلة المريرة . ثم كان الازدهار مـــع ذوبان الجليد وانبثاق الحياة بطوفانات الحرية في الخمسينات . وكان التألق والانفتاح الشعري الذي صاغ ابعاد مؤامرة الشعر في الستينات .. فمع مطالع الستينات تمكن رهـــط طويل من الشعراء الموهوبين ، يقف في طليعتهم أندريه فوزنيزينسكي من تحقيق اكبر مؤامرة في تاريخ الأدب الروسي .. مؤامرة الشعر التي اطاحت بالمفاهيم المتعفنة القديمة للشعر ولوظيفته ، وردت الى شرايين القصيدة الروسية ذلك النبض المتفجر الذي افتقدته منذ انسفاح دماء مايا كوفيسكي العظيم ذات صباح من ابريل عام ١٩٣٠ . فتراكم فوقها من بعده الجليد . واستمر هذا الجليد طويلا حتى تحققت نبوءة تفاردوفيسكي الذي عانى طويلا ليسفر عن وجه الحقيقي كاملا في ملحمته الكبيرة (فاسيلي تيور كين) التي كتبت في الاربعينات ولم يقيض لها الظهور الا في أواخر الخمسينات .. تحققت نبوءته التي طالما بشر بها طويلا في قصائده .. وطالما تاق الى أن يعيش سنوات تحققها .. عندما قال :

شيء واحد أتوق اليه
أن يكون هناك دائماً شعراء

شعراء عديدون موهوبون يمتازون ويختلفون
وان تقبل جموعهم الي في وقت قريب
لترتمي بين ذراعي المفتوحين

ولم تكن هذه الرغبة أو النبوءة شيئاً بعيد التحقق ، فقد كان الكسندر تفاردوفيسكي يبصر تحت عينيه عشرات البذور الجنينية التي كانت تشي بأن أوان التبرعم قريب ، وأن هذه الومضات القليلة الواهنة توشك أن تتجمع لتطلق شرار متوهجة قوية تعيد الى جذوة الشعر الخابية التألق والوهج . والحقيقة أنه ليس بامكاننا دراسة هذه الثورة الباهرة التي يعيشها الشعر السوفيتي الحديث والتي يحلو لي أن ادعوها بمؤامرة الشعر دون أن ندرس جذورها . ونتتبع كل الخيوط الدقيقة الواهنة التي حيكت بذكاء واناة حتى اكتملت ملامح هذه الثورة ورسخت ابعادها . فهذه الثورة لم تخلق شعرهـا على فراغ ، ولم تنبثق فجأة من الهواء .. ولكنها قامت فوق ارض ترابية صلبة مهدها لها عدد كبير من الرواد العظام الذين ابدعوا الشعر قبل الثورة وبعدها . لذلك علينا حتى نتعرف على حقيقة هذه المؤامرة وعلى حجمها أن ندرس جذورها عند كل من الكسندر بلوك (١٨٨١-١٩٢١) وفلاديمير ماياكوفيسكي وسيرجي يزينين وبوريس باسترناك وأوسيب ماندلشتام وأنّا أخماتوفا ونيكولاي زابولوتسكي (١٩٠٣ - ١٩٥٨) والكسندر تفاردوفيسكي وفيليمير خليبنيكوف (١٨٨٥ - ١٩٢٢) وغيرهم من الشعراء الكبار .. وسنحاول هنا أن نستخلص الخطوط العامة التي تجمعت ثم تشابكت فصاغت لنا لوحة الشعر الحديث اليوم ..

ومن البـــداية أحب أن اوضح السبب الذي يدفعني الى اطلاق اسم مؤامرة الشعر على هذه الحركة الشعرية الباهرة .. خاصة وأن اسم مؤامرة يرتبط دائماً في الأذهان ببعض القيم والتصورات المتخلفة والسيئة .. لكن المؤامرة في عالم الفن غيرها في عالم السياسة ، فقد بدأت كل الحركات الفنية الباهرة بمؤامرات حاذقة ومحبوكة مهدت لها الطريق وآذنت بلحظة الانفجار .. ومؤامرة الشعر في الاتحاد السوفيتي تستحق هذا الاسم عن جدارة لأنها نسجت خيوط ميلادها بصبر ودأب كبيرين .. وأطلقت قبل انفجار شرارتها المكتسحة عشرات البالونات في الهواء لتختبر الجو وتستطلع نوعية الأثر الذي يمكن أن تخلفه مثل هـذه البالونات الإستطلاعية على شتى المستويات .. واستطاعت أن تعرف اكثر الاوقات ملاءمة لتسفر فيه عن إرهاصاتها وعن التباشير الواشية بميلادها المرتقب . وقد وضع هذا الحال الشعر في محاورات ومداورات دائمـــة مع السلطة من جهة ومع جماهير القراء من جهة اخرى . ووجـد الشاعر نفسه في موقف حرج . فهو مؤمن بالإشتراكية لأنها طريق الخلاص الحقيقي من هموم المجتمع البشري الرئيسية . ولكنه في الوقت نفسه متناقض مع الإنعكاس الرسمي للسلطة الإشتراكية في ميدان الادب عامة والشعر خاصـــة . ولايستطيع أن يعزو كل الاخطاء الى جمود القائمين على التنفيذ او قصورهم لأن المسألة اعمق من ذلك بكثير . وهو في الوقت نفسه يريد ان يكسب الى صفه القراء دون ان يتملق في اعماقهم السخط أو المداهنة . وهو — الشاعر — يشاهـــد كذلك البناء المتشامخ الذي تنجزه الإشتراكية في بلاده في شتى المجالات ، ولا يستطيع أن يجحد هذا البناء حقه ، وإن عجز في الوقت نفسه عن أن يغفر له أخطاءه . فالبناء للبشر لايبرز أبداً التضحية بهم . ولكن هـــذا البناء وتلك التضحيات لاتدور في عالم مغلق وإلا

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

لاستطاع الشاعر أن يحدد موقفه فيه بوضوح . ولكنه يدور والاتحاد السوفيتي مطوق من جميع الجهات بقوى معادية تحاول دائماً أن تنهش لحم الثورة وتتمنى أن تجهز عليها . ولو رفع الشاعر صوته من اجـــل الإحتجاج البناء فان هذه القوى المعادية لن تلبث أن تتلقف هـذا الصوت ، تطمس الجانب البناء فيه ثم تكبر الجانب الهدام عبر عشرات الأبواق . لذلك رفض الشاعر - دائماً - أن يتناقض مع الثورة . وتقبل الكثير من القيود التي كبلت صوته عن رهبة احياناً وعن إقتناع غالباً . ورغب في الوقت نفسه في أن يطلق عبر كل الأسوار التي أقامتها من حوله السلطة والتي أقامها هو حول نفسه ، بعض الصيحات التي تحدد موقفه وتمنع الاجيال القادمة من أن تشير إليه بأصبع الاتهام قائلة : ولماذا صمت ؟ .. أما كان الأجدر به ان يقول كلمته ويمضي ، مهما كلفته هذه الكلمة ؟!. ولقد تركت هذه الرغبة الحقيقية في البوح وصراعها مع رغبة حقيقية اخرى في الكف عن الإفضاء ميسمها بوضوح على حركة الشعر السوفيتي بعد الثورة ، إلى الحد الذي لايمكننا معه دراسة هذا الشعر دون ان نأخذ في اعتبارنا هذه الحقيقة ، لأنها لم تترك ظلها على مضمون هذه الحركة وحده ولكن ايضاً على شكلها . وهي التي جعلت تعبير مؤامرة الشعر اكثر ملاءمة للدلالة على حركة الشعر بعد الثورة من تعبير ثورة الشعر . فقد حرص الشاعر على ألا تنطلق قصائده كالشظايا - كما فعل أراجون وإيلوار إبان المقاومة الفرنسية - ولكن أن تتسلل بهدوء وبراوغة الى القارىء والسلطة السياسية معاً . فهناك فرق كبير بين شعر يريد أن يهدم ويريد ان يحرر - كأشعار المقاومة - وبين شعر يريد ان يصلح وأن يعدل وأن ينبه.

لذلـــك تجمعت خيوط مؤامرة الشعر التي انفجرت في الستينات بأناة ودأب كبيرين . وهذا هو السبب في أنها احتاجت الى سنوات طويلة حتى نضجت

وأنجبت لنا هؤلاء الشعراء الموهوبين وفي مقدمتهم الشاعر الروسي البارع والعظيم اندريه فوزنيزينسكي ، الذي اعتقد انه لولم تنجب هـذه الحركة الشعرية سواه لكفاها فخراً ، والذي أرى انه سيحتل مكاناً بارزاً في لوحة الشعر العالمي بأكمله.

وحتى يمكننا أن نتعرف حقيقة على دور الشعراء الكبار ، الذين وفدوا على حقل الشعر السوفيتي مع الثورة وعقبها ، في الإحتفاظ بجذوة الشعر متقدة لسنوات طويلة وتسليمها لهؤلاء الشعراء الشبان ليشعلوا منها نار ثورتهم الراهنة ، علينا ان نتعرف على الآثار التي ارتوت منها حالة الجمود الرهيبة التي عاشها الشعر السوفيتي في السنوات التي اعقبت الثورة والتي امتدت طوال سيطرة الفكر الزدانوفي على الحياة الادبية الروسية .. اقول الفكر الزدانوفي وليس زدانوف لأن هذا الفكر اقدم من زدانوف وموجود قبله .

وأول هذه الآثار ان الشاعر قد وجد نفسه فجأة ، بعد أن كان ملء السمع والبصر ، في مكان شديد الثانوية من حركة هذا المجتمع المقبل بنهم جنوني على البناء . مجتمع يتغير بسرعة عظيمة ، يمزق عشرات الاثواب القديمة البالية ، لينشيء بدلاً منها انصاف ثياب لم تكتمل بعد ، ولكنها انصاف جديدة ، ومن طراز جديد ايضاً . وقد تم هـذا وسط جو مشحون بالتحدي والحصار العالمي الراغب في الإجهاز على الثورة وتشويهها . وتم بصورة إختلت معها عشرات الموازين وأنشأت في الوقت نفسه عشرات المقاييس الجديدة . ولأن المجتمع بأكمله كان مشغولاً بالبناء وإرساء القيم الجديدة ومجابهة الحصار وحرب التدخل الاجنبي طوال الوقت ، لم يجـد لديه وقتاً كافياً للإنصات الى الشعر . فالشعر والفنون جميعاً تحتاج الى قدر من الاستقرار حتى تنمو وتزدهر . ولهذا وجد

الشاعر نفسه غريباً غير مرغوب فيه ، الى الحد الذي دفع بزبنين الى أن يقول في احدى قصائده :

شعري ليس ضرورياً هنا
نعم .. وربما أنا نفسي
لم أعد ضرورياً

ولم يجد أمامه عند ذاك سوى أن يضع حداً لحياته التي أفقدتها حركة المجتمع السريعة قيمتها ، فانتحر برغم يقينه بأن الإنتحار نوع من الأنانيـــة . وكتب بقطرات دمه النازفة آخر كلماته :

وداعاً ياصديقي
وداعاً دونما كلمات ، ودونما مصافحة
لاتحزن ، ولا تقطب حاجبيك
فليس شيئاً جديداً في الحياة أن نموت
وأن نعيش ليس بالطبع بالشيء الجديد .

ARCHIVE
http://archive.beta.sakhrit.com

هذه واحدة من الآثار التي ارتوت منها أزمة الشعر بعد الثورة ، ومنها أو بعدها تتابعت الاسباب الأخرى . بدءاً بالضغوط المتعددة الراغبة في فرض نمط من الابداع الشعري يتلاءم مع الفكرة الضيقة الأفق عن طبيعة الشعر في المرحلة الجديدة ، وعن دوره في التغني بها وتمجيدها . عند ذلك لم يعد الأمر في حاجة الى موهبة شعرية قادرة على أن ترى الشعر في تفاصيل الحياة الجديدة ، ولكن الى قدرة على نظم الافكار العديدة السائدة والمعروفة ، وعلى صياغة التقارير الحكومية والمقترحات الحزبية في قالب منظوم . فكتب الشعراء عن الانجازات العملاقة لخطة السنوات الخمس الاولى .. وعن ضرورة تطهير الجهاز

الحكومي أو بناء الكوادر السياسية . وعن روعة التوجيهات الصائبة للمكتب السياسي .. الخ . فانتشر الشعر السخيف المجوج . وامتلأت صفحات الصحف والمجلات الأدبية بأشياء أقرب الى الخطب والترنيمات الساذجة منها الى الشعر . وملأت الحياة الادبية جوقة من الناظمين الغليظي الحس ، المليئين بالحقد على كل الشعراء الممتازين .. واستطاع حقدهم ذاك أن يدب عن الحياة الادبية كل شاعر حقيقي وان يحيك له الوشايات .

فلم يعد أمام الشاعر الحقيقي سوى امر من اثنين : إما ان يكتب الشعر الغنائي الذي يترنم فيه بجمال الارض الروسية ، لأن هذا اللون كان خارج حظيرة الممنوعات ، أو أن يحكم على أشعاره بالسجن داخل أدراج مكتبه وأن يسربل بالصمت انتاجه . غير أن عدداً من الشعراء الموهوبين استطاع أن يفلت من بين براثن هذه الثنائية الرهيبة التي تحكم سقاطا على شعره بالدمار . فنشر بعض هؤلاء الشعراء عدداً من القصائد التي تمكنت من التملص من قيود الممنوعات . واستطاع اللقاء الخصب الذي جمع أغلب هؤلاء الشعراء في مدارس مختلفة أن يثري حركة الشعر وان يحافظ طوال عهود تراكم الجليد على جذوته حية ومتوهجة . فكانت المدارس العديدة مثل الرمزية والمستقبلية والقمة والاكماتية (نسبة الى أكماتوفا) وغيرها من المدارس . وحتى نتعرف بسرعة وتركيز معاً على هـذه المدارس المختلفة والمصطرعة معاً علينا ان نرجع قليلاً الى الوراء . الى سنوات قبل الثورة .

فمنذ مطلع هذا القرن والحياة الادبية في روسيا تغلي بعشرات المدارس والتيارات الفكرية والادبية والسياسية . فلم يكد يطل هـذا القرن بوجهه حتى اندلعت ثورة ١٩٠٥ واعقبتها ثورات أخرى .. ثورة عام ١٩١٢ ثم ثورتان عام ١٩١٧ ثم اضطرابات وحروب عـديدة عقب الثورة .. الاضطرابات الدموية

الداخلية ثم الحرب العالمية الاولى ثم حرب التدخل الاجنبي. وقد ترك هذا المناخ المضطرب الصاخب أثره على كافة جزئيات الحياة الروسية .. لكننا لو استسلمنا لإغراءات المعنى خلف هذه الآثار وتتبع انعكاساتها لانصرفنا عن موضوعنا الرئيسي. لذلك فاننا سنلتقط فقط الخيط المتعلق بحركة الشعر من وسط هذه الخيوط المتشابكة .. فمع مطلع هذا القرن كانت المدرسة الرمزية هي المدرسة التي تسيطر على اتجاه الشعر الروسي والتي يحظى أعلامها باهتمام القراء والنقاد معاً. وقد ظهرت هذه المدرسة في أواخر القرن التاسع عشر كانتفاضة ثورية في وجه شعراء المدرسة الجمالية التي كانت تنادي بألوهية الفن وكهنوته وتفرض سلطانها على الحياة الادبية في تسعينات القرن الماضي، وكان مؤسسها فلاديمير سولوفيوف (١٨٥٣ - ١٩٠٠) أحد تلاميذ العدميين في سنوات شبابه الاولى. لكنه مالبث بعد نضوجه أن اعتنق فكراً كهنوتياً مسيحياً يعتبر الانسان همزة وصل بين الله والطبيعة. وانطلاقاً من فلسفته الصوفية التي تؤمن بأن النور سوف ينتصر في النهاية، اعتنق فكرة ثورية واضحة عن دور الفن كسلاح لهزيمة الظلام والقضاء على جحافله المنتشرة في كل مكان. وبدأ يكتب عدداً كبيراً من القصائد الرمزية الغامضة القائمة على فكرة أساسية وهي الوصول بالرمز الى مرتبة الحقيقة الموضوعية، والتعامل معه بوصفه ليس وهماً بل واحداً من وجوه الحقيقة الاساسية. وكانت قصائده مليئة بالعشق الصوفي والتلميحات الحادة الغريبة. وقد استقطب اتجاهه الشعري عدداً كبيراً من الشعراء في هذه الفترة. وتمكن هؤلاء الشعراء من فرض المذهب الرمزي على الحياة الادبية الى الحد الذي سيطر فيه هذا المذهب عليها طوال السنوات الممتدة من ١٩٠٥ الى ١٩١٧ وهي السنوات المليئة بالغليان الثوري والاضطهاد القيصري لكل الاتجاهات .. غير ان ابرز شعراء هذه المدرسة

كانا بوريس بيجانيف (١٨٨٠ – ١٩٣٤) الذي كان يكتب تحت الاسم المستعار أندريه بيلي والذي يلقب بجيمس جويس الادب الروسي . والكسندر بلوك (١٨٨٠ – ١٩٢١) الشاعر العظيم الذي يعد بحق اعظم من انجبتهم المدرسة الرمزية ، وواحداً من اعذب الاصوات التي عبرت سماء الشعر الروسي .

وفي عام ١٩١١ – إبان ازدهار المدرسة الرمزية – بدأت اصوات الاحتجاج ضدها في السفور . . واخذت تلك المدرسة – التي كانت اكثر المدارس الادبية ذيوعاً تعاني من انصراف الناس عنها ، ومن ارتفاع الاصوات العديدة التي تعلن ان الإيماءات الرمزية والاغراق في الابنية الغامضة لا يمكنها ان تستنفد كل طاقة الشعر في محاربة الظروف الحضارية الضارية التي تعيشها البلاد ، ولا ان تستوعب كل طاقة الشعر على التبشير بالمستقبل . وظهرت مدرستان شعريتان في مواجهة الرمزية هما (المستقبلية) و (القمة) التي اخذت اسمها من الكلمة اليونانية acme ومعناها قمة الانجاز . وقد ساهمت هاتان المدرستان في اثراء حركة الشعر بعد الثـورة بصورة لا يمكن نكرانها ، وتركتا لنا عدداً كبيراً من الشعراء العظام مثل فليمير خليبنيكوف واوسيب ماندلستام وانّا أخماتوفا وبوريس باسترناك وغيرهم بالاضافة الى الشاعرين العظيمين يزينين ومايا كوفسكي . ولقد ماتت المستقبلية بموت مايا كوفسكي عام ١٩٣٠ واجهز صمت ماندلستام واضطهاد اخماتوفا على القمة بعد موت يزينين بسنوات قليلة .. وبالرغم من ان ستالين قال بنفسه أن انا اخماتوفا ليست سوى عاهرة تكتب شعراً بذيئاً وقذراً ، فان عدداً كبيراً من الشعراء الموهوبين نذكر منهم باسترناك وماندلستام أسسوا جمعية شعرية أطلقت على نفسها اسم (الأخماتيون) واستقطبت كل الشعراء الحقيقيين الذين رفضوا أن يضحوا بالشعر ، وان يحيلوه الى مجرد نظم لا قيمة له ولا روح

فيه . واستطاعت هذه الجماعة الشعرية ان تحافظ على جذوة الشعر متقدة طوال سنوات المد الزدانوفي وأن تسلمها الى هذا الجيل الجديد الذي بدأ الكتابة في الخمسينات والذي يقول زعيمه واكثر شعرائه نضجاً وموهبة أندريه فوزنيزينسكي « إن باسترناك هو استاذي الوحيد » .. وغير الأخماتيين كان عدد من الشعراء المتفرقين الممتازين مثل ميخائيل شيفتلوف وراسول رازا (١٩١٠) ونيكولاي زابولوتسكي (١٩٠٣–١٩٥٨) وغيرهم من شعراء الجمهوريات البعيدين عن قلب موسكو وعن عيونها .

ومع ذلك فاننا لانستطيع أن نقول ان هذه المدارس الشعرية العديدة قد خلقت نوعاً من الخصوبة الشعرية وخاصة في السنوات التي أعقبت الثورة وذلك لاسباب عديدة .. أولها ان البلاد كانت مشغولة في الحرب الاهلية التي مزقت العديد من مقاطعاتها وانهكت معظم سكانها ، فانصرف الناس عن قراءة الشعر ، وبدون القارىء لايمكن أن تزدهر أي حركة فنية او يتعاظم تأثيرها . وثانيها ان الدعوة الى ادب ينبع من بين العمال والفلاحين كانت تزري بكل مايكتبه المثقفون من أبناء الطبقات المتوسطة والغنية . وثالثها ان هذه الظروف الحضارية قد انعكست بصورة واضحة على الحياة الادبية فانخفض عدد الكتب والصحف التي تهتم بالادب بدرجة كبيرة . غير أننا لانستطيع في الوقت نفسه ان ننكر ان هذه المدارس الشعرية قد استطاعت ان تحافظ على جذوة الشعر متقدة وان تخلف لنا في الوقت نفسه عدداً كبيراً من الشعراء المجيدين الذين آثروا الشعر في هذه الفترة ومهدوا للمؤامرة الشعرية الكبيرة التي اعتمدت على هذا التمهيد الطويل في اكتساب الشرعية الفنية والموضوعية التي ساهمت في كسب جمهور الشباب المثقف في صفها .

فقد استطاعت المدرسة المستقبلية مثلاً ، ان تقود زحف الشعر في رحلته التغني بالحياة الجديدة . التغني بها مع الحفاظ على جوهر الشعر ودون سقوط دمائه تحت اقدام الشعارات او الخطب السياسية المقيتة . واستطاع مايا كوفيسكي ان يقف في مقدمة هؤلاء الشعراء القليلين الذين تغنوا بكل الجديد دون ان تفقد اصواتهم عذوبتها او اصالتها .. فقد رأى الشعر في كل ماهو جديد .. في

مواكب القطارات المحملة بالبروق

وفي .. ضوء الكهرباء الذي جعل

من ضوء الشمس

شيئاً يفتقر الى العصرية

وفي .. الكهرباء والبخار

والكميات الرياضية ذات الاقدام المرنة

وفي .. الحفارات العملاقة

التي تهتك رحم الارض المظلم

طلباً للفحم

فتدمع لها احشاء الارض

وفي .. افران الصلب العملاقة

التي تفور في جوفها

حرارة مئات الشموس

وحتى في .. جواز السفر القرمزي

الذي يعانق المنجل فوق وجهه المطرقة

استطاع مايا كوفيسكي أن يرى الشعر في كل هذه الأشياء الجديدة »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكنه مع ذلك لم يطق الاستمرار في هذا الطريق الذي ماضى فيه بالشعر يوماً. ولكنه أحس أنه يقود فيه موهبته وشعره لتسيرا وفق مخطط مرسوم . . لم يطق مايا كوفيسكي الاستمرار فوضع بالانتحار نهاية دامية لحياته التي أبدع خلالها عدداً هائلاً من القصائد الرائعة . . . وكان هـذا هو الحال مع عدد كبير من الشعراء الحقيقيين الذين لم يطيقوا ان يسخروا شعرهم للسير في طريق مغلق فآثروا الصمت : ومنهم على سبيل المثال أنا أخماتوفا التي اجبرت على الصمت ، واوسيب ماندلستام الذي انتهى نهاية غامضة ، و بوريس باسترناك الذي لم يفلح طوال السنوات الممتدة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٥٦ في نشر اي من قصائده . . اللهم سوى مرة واحدة تأكد بعدهـا استمرار الصمت . . وبذلك مضى الشعر السوفيتي يغـط لسنوات طويلة في سبات عميق .

غير ان الالحاح الواعي للأجيـال الجديدة من الشباب الذين فجروا ثورة الشعر السـوفيتي الحديث استطاع ان يوقظ هذا الشعر من سباته ، وان يعيد اليه صوته الأصيل العذب الذي فقده منذ بلوك ويزينين ومايا كوفيسكي . . والحقيقة ان الفضل في تفجير شرارة هذه الثورة لا يرجع لهؤلاء الشعراء الشبان وحدهم ، ولكنه يعود ايضـاً ــ كما سبـق ان ذكرت ــ الى هؤلاء الشعراء الذين كافحوا طويلاً ليظل صوت الشعر الحقيقي من خلف قضبان الصمت والركود والخطابية . فهؤلاء وحدهم هم الذين انضجوا الظروف الموضوعية التي حملت ــ على خطهـا المتنامي ــ هؤلاء الشعراء الى ساحة الشعر الحقيقية .

وقد يبدو للوهلة الأولى ، ولسنوات الانتظار الطويلة التي سبقت هـذه الصحوة او الثورة او المؤامرة الشعرية . انها ثورة عارمة او جامحة . غير ان من يتعرف على التنوعات المتعددة لأصوات الشعراء الشبان من فوزنيزينسكي حتى عزيزوف وهو اصغرهم سناً ــ ولد عام ١٩٤١ ــ مروراً بيريلوفيسكي وإيفتو شينكو

وسلوتسكي وفولجين واخمادولينــا وغيرهم . يحس بأن ثورة هؤلاء الشعراء الشبان برغم يفاعتهم ثورة عاقلة . لأنها تحاول بالدرجة الاولى ان توقظ الروح العظيمة للشعر الروسي من سباتها الطويل ، لا ان تجهز عليها وتقيم فوق انقاضها بناء متين الصلة بهذا التراث العظيم . كما تحاول في الوقت نفسه الاستفادة من كل القيم الايجابية التي ارساها الشعراء الكبار في ارض الشعر السوفيتي بعد الثورة . وقد ترك تعقل هذه الثورة ووعيها ظلالاً خصبة فوق كل انتاج الشعر الحديث. بالصورة التي اضطرت الجميع – داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه – الى الاعتراف بها والنظر اليها بفخر وارتياح .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يصدر قريباً

الجمال في تفسيره الماركسي

بقلم عدد من الفلاسفة السوفييت

ترجمة : يوسف حلاق　　　　مراجعة : أسماء صالح

منشورات وزارة الثقافة – دمشق

ملحمة الانسان والتاريخ في شعر البياتي

طلعت همام
– القاهرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من كلمات كولبردج المأثورة انه « لايمكن ان يكون الانسان شاعراً عظيماً دون ان يكون فيلسوفاً عميقاً في الوقت ذاته » . وشكسبير كان – برأي كولبردج – شاعراً عظيماً لأنه قد درس أولاً بصبر وتأمل . ثم تفهم بدقة ، حتى أصبحت المعرفة بالنسبة اليه عادية حدسية . واقترنت بمشاعره العادية . ثم تولد عنها تلك القوة المذهلة التي يتفرد بها شكسبير .

ولا تنطبق ملاحظة كولبردج على احد شعرائنا المعاصرين .. مثلما تنطبق بصدق على عبد الوهاب البياتي ..

فتجربة المعرفة الممتزجة عنده بصدق المعاناة والتمرس ، هي المحصلة .. المجهدة .. التي يتوجها في القمة .. نتاجه الشعري الرائع .

ومنذ عام ١٩٤٤ والبياتي يشيد – بأناة وجلد – رؤيته الخـاصة .. منطلقاً من ذلك الاحساس العميق الذي اصطدم به « بفقدان العدالة وانقلاب الاوضاع » .. باحثاً في التاريخ متلبياً كل اعمال الكلاسيكيين العظام .. ابتداء من جوركي وتولستوي وتشيكوف وديستيوفسكي حتى بيرون وشللي وكيتس وبودلير ورامبو وهيجو .. الى طرفة بن العبـد وأبي نواس والمعري والمتنبي والشريف الرضي وابن الرومي وفريد الدين العطار والخيام ...

وفي سنوات الاستيعاب الشامل .. المبكرة هذه .. ادرك البياتي عقم الشعراء العرب المعاصرين له .. فقد كان « اشبهم ثورة عاطفية رومانسية اكثر منه تعبيراً عن ولادة جيل جديد من خلال الازمة وسنوات العذاب » ..

وبصحبة السياب وبلند الحيدري وعبد الملك نوري .. بدأت معالم الرؤية تتضح وتتحدد العلاقة بين الفن والمجتمع .. وكان ميله الى « الرؤية الشاملة » سبباً في اختياره الشعر .. كأداة للتعبير والمشاركة ..

وبكل ثقافته العريضة .. يجد من جديد في أعمال الشعراء العرب العظام ليجد فيهم التمرد الواضح على قيم عصرهم .. وتلك المعاناة الحقيقية التي هي سمة كل كبار الخالقين . لكنه لاحظ أيضاً .. مايشوب شعرهم من كلف وصنعة .. ومن هنا انتهى الى انه « لابد وان تختفي هـذه الثنائية الكامنة في القصيدة الكلاسيكية الحديثة . حتى تصبح موسيقى الشعر جزءاً عضوياً مكملا للتجربة الشعرية نفسها وبعداً ثالثاً يحمل نفس ملامح ايقاعها النفسي واساسهـا الفكري والوجداني » .

وامام اعمال بابلو نارودا ولويس آراجون وبول ايلوار وناظم حكمت ولوركا ومايكوفسكي توقف البياتي زمناً ليس بالقصير .. فقد وجـــد لديهم « جوهر الشعر الحقيقي » و « نوعاً من الالتزام الواعي الحي النابع من داخل نفوسهم .. » « وصورة حية للنضال الانساني يبدو امامها نتاج شاعر غربي كبير مثل آليوت . شديد السكونية والموات » .. وابتداء من هذه اللحظة .. تصبح قضية « الالتزام » في الشعر هي شغل البياتي الشاغل ..

فمع ارتفاع امواج الثورة الوطنية والاجتماعية .. ينحسر في شعر البياتي ذلك التمرد الميتافيزيكي الذي اخذه عن منابعه الوجودية عند سارتر وكامي .. ليتحول الى ثورة جـــذرية .. ويتأكد لديه ان دوره كفنان .. هو بالضرورة « ان يحترق مع الآخرين عندما يراهم يحترقون » .

وفي عام ١٩٥٠ صدر له « ملائكة وشياطين » الذي يضم مجموعة قصائد وجدانية حزينة .. تعبر عن الحيرة والقلق والكآبة .. وفي عام ١٩٥٤ .. صدر « اباريق مهشمة » الذي عكس مرحلة اكثر تطوراً من شعره . تخلى فيها عن الشكل الشعري القديم . وانطلق بعيداً عن قيوده المعوقة وان كانت اصداء .. « ملائكة وشياطين » لاتزال تترك آثارها في « اباريق مهشمة » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبانضمام العراق الى حلف بغداد .. تحددت صورة المعركة امام البياتي .: تحدداً نهائياً فانضم الى اسرة تحرير مجلة « الثقافة الجديدة » .. مع غيره من الكتاب التقدميين .. لكن نوري السعيد لم يلبث ان اغلق « الثقافـــة الجديدة » ونفى شاعرنا مع بعض زملائه من الوطن .

وبصدور « المجد للأطفال والزيتون » في ١٩٥٦ بدأت الملامح المتفردة للبياتي تأخذ صياغتها النهائية . إذ يتحول الغناء الذاتي الذي عرفناه في الدواوين

السابقين الى رؤية اجتماعية عميقة شاملة .. فهناك « اغنية الى يافا » و« الى اخواني الشعراء » و« الى شعبي » و« الى جابرييل بري وعمال مارسيليا الصغار » و« ماوتسي تونج الشاعر » و« سوريا » و« شارلي شابلن » و« اطفال وارسو » و« مراكش وتونس والجزائر » و« الكتاب المصريين » .

كما أن البياتي كفنان – قد واكب نضالات المثقفين التقدميين العرب في حقول السياسة والفكر – في تلك الفترة المزدهرة والنادرة من فترات المد الثوري – فبدأ في تعريف القراء العرب بكتابات آيلوار وآراجون عندما ترجم لكل منهما باقة من اشعاره مصحوبة بترجمة لحياته .. فعبر عن وحدة الارض التي يقف معهم عليها .. والرؤية التي يشاركهم فيها .. وآراجون هو القائل انه « في بلادي عندما يسوء حظها او عندما تسحق لا أومن إلا بالعمل وحده كوسيلة للتعبير » . لذلك شارك في صفوف المقاومة الفرنسية السرية .. بعد احتلال النازي لبلاده .. وكتب « بساط الخوف الأعظم » و« اغاني فرنسا المهزومة » و« وريشارد قلب الاسد » و« الزنابق والزهور » .. وكان دائم التأكيد على ان التوقف عن الكتابة .. هو الهزيمة الوحيدة الممكنة .. لأي كاتب ..

وقد ساهم ايلوار كذلك في حركة المقاومة محتضناً قول بليك « كل ما اثبت في الوقت الحاضر لم يكن فيما قبل اكثر من تصور . وسيكون عمل الشاعر مساعدة الناس لاثبات حقيقة ما استلهمه » ..

وبهذه الترجمات المنتقاة بعناية .. دفع البياتي الى الوعي العربي بأول دفقة من نماذج الادب الكفاحي .. الذي لا يقف كتابه من احتراق الآخرين « على الضفة الاخرى للاستغراق في صلاة كهنوتية » .

ولم تلبث دواوين البياتي ان تتالت . فنشر له « اشعار في المنفى »

و « عشرون قصيدة من برلين » و « كلمات لاتموت » و « سفر الفقر والثورة » و« الذي لا يأتي ولا يأتي » ثم نشر له اخيراً « الموت في الحياة ».

وعبر هذه الرحلة الطويلة – التي هي اطول رحلة قطعها شاعر عربي معاصر – نجد ان محنة التخلف الاجتماعي والحضاري .. التي يعيشها العراق .. والوطن العربي كله.. قد كانت ولا تزال هي القضية الاساسية .. في شعر البياتي ...

ومع ان البعض يذهب الى ان شاعرنا قد اهتم في بعض مراحله.. بالقضايا الثورية العامة اكثر من اهتمامه بقضايا وطنه العربي .. إلا أننا نستطيع ان نجد دائماً في اشعار البياتي .. ذلك الخيط الذي يربط القضية الخاصة بالثورة والتخلف في الوطن الذي ولد فيه .. بالقضية العامة للثورة والتخلف على النطاق الشامل .. ولاشك أن أية معالجة جزئية لقضية الثورة انما تؤدي الى تسطيحها وخلعها عن جذورها وفصلها عن الإطار الشامل الذي يعطيها المعنى .

وبهذا الفهم وحده لشعر البياتي .. يمكننا أن نلج الى عالمه .. حيث يكتسب الجزء قيمته ومعناه من الكل .. ويأخذ الكل جلاله وعظمته وقواه من زخم الجزء ونبضه .. وحيث يتعايش الحاضر بما فيه من نضالات ومعارك شجاعة في مختلف جبهات الثورة العالمية .. مع تلك النضالات والكفاحات الدائبة في الماضي والتي كانت بمثابة التمهيد لما أنجزه انسان هذا القرن من رؤية واعية ونجاحات لايشك في قيمتها .. وفي الوقت الذي راح يطرح فيه عن القصيدة العربية شكلها المتحجر .. ملتمساً لها السبل للالتصاق بنبض الحياة والتعبير عنه .. كان البياتي ككل فارس شريف شجاع – في « زمن يسود فيه العهر وتنتشر الدعارة » .. يهتم اهتماماً خاصاً بشرف الكلمة .. ونزاهتها وصدقها وهي سلاحه الوحيد .. في معركته الوحيدة ..

لذلك .. تتطبع في شعره – وبشكل الاساسي – نغمات اربع .. كما لو كانت .. المدارج التي قطعها على طريق الوعي .. فهناك اولاً .. ذلك الاحساس الدائم بقضية الوطن ومأساته :

....

متى أرى شعبي يا مدينة النجوم
والشمس والأطفال والكروم
وهو يسد الأفق بالرايات
ويصنع الثورات ..

....

....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتتكون النغمة الثانية .. أو المدرج الثاني على درب المعرفة من اتساع الرؤية لتشمل وطنه العربي الواحد ..

....

ان حرفاً
ماردا
يولد في أرض الجزائر
يولد الليـــلة
لم تظفر به ريشة شاعر
باسم أبطالك ، ياخيمة افريقيا – النجوم
والأقاصي .. والكروم

والعصافير الصغيرة ..
والهوى والأرض والانسان – ياشمس الظهيرة
باسمهم غنيت – غنوا للسلاح ..
للعيون المغوية
في الخيام العربية
تتحدى الموت « في آراس » في ليل الجراح
باسمهم غنيت ، غنوا للصباح
وشربت الخمر من عينيك
ياحمرة ميـــلاد القصيدة
في ليالي شاعر حر وريده
في حديد السجن في « وهران »
في أعماق « وهران » العنيدة
في أماسيها الكئيبة ..
....
....

ويكون توحيد قضية النضال بين المناضلين في « أوراس » والمناضلين ضد الفاشية هو الخطوة التالية :

....
يادما سال على أبيات « ايلوار » الحبيبة
شاعر الحب الذي بالأمس غنى في الطريق

النجوم الزرق ، للأطفال
« ايلوار صديقي »
انهم اعداؤ ، الفاشيست عادوا من جديد
يصنعون الليل والمأساة في الفجر الوليد
لك يانافذة في ليل افريقيا « السلام »
ولك النصر ..
وللفاشيست : « الموت الزؤام » ..

....

....

ولا تلبث الرؤية عند البياتي ان تعمق وتتجذر لتصل الى صفحات التاريخ .. قريبة وبعيدة .. ففي « سفر الفقر والثورة » يتناول « محنة أبي العلاء » .. في ذلك الزمن الداعر — الزمن المتحرك .. المتداخل بلا فواصل . الشديد الديمومة .. حتى ليصبح لحظة متألقة واحدة — يقدم الشاعر « أبي العلاء » عرافاً . في وقت تحول الشعراء الى خراف . كما يقدم في نفس الديوان :. الحلاج .. الذي تتحدد محنته في قوله ؟

بحت بكلمتين للسلطان
قلت له جبان ..

....

وبنفس الاقتراب والالفة .. يتحدث عن « لينين » ..

صوت لينين الأخضر العميق ، لايزال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يهدر في العالم ..
والرايات في الجبال
تسد درب الشمس ..
....

ويهدي قصيدة الى « ماوتسي تونغ » .. الشاعر »

....
حيث الجماهير السعيدة في انتظار
ميلاد آسيا من جديد
....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتتوحد الأرض التي يقف عليها « ماوتسي تونغ الشاعر » و « ايلوار .. المناضل » وليتبق فكر الثورة النافذ .. لتشمل لوركا ..

....
ليل غرناطة تحت قبعات الحرس الأسود والحديد
يموت والأطفال في المهود
يبكون ..
لوركا صامت
وانت مدريد
سلاحك الألم
والكلمات والبراكين التي تقذف بالجحيم ..

....

و « أراجون » ايضاً ...

....

كلماتك الخضراء في ليل انتظاري

نفذت بلحمي مثل نار

ثارت الى صمت البحار

عبرت صحاري

حلت بداري

ضيفاً ...

وباتت في قراري ..

....

....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وناظم حكمت الذي يعود بعد موته .. كأنه لم يكن إلا «منفياً .. »

....

ناظم عبر الأناضول فافتحوا الأبواب

يسقي الدوالي

يغرس الزيتون في الهضاب ..

....

بهذا الادراك الشامل لجدلية ملحمة الصراع الانساني عبر التاريخ .. وبتلك العين المدركة لتعدد اشكال الظاهرة .. مع وحدتها في الجوهر .. تتشكل

الخطوة الرابعة .. في مدارج الرؤية عند البياتي .. حيث لا يصبح التاريخ مجرد وعاء يغلف قضايا الثورة الراهنة بل يأخذ مكانه الاصيل كجزء اساسي في بنـاء الظاهرة . بل هو الجزء الأهم لأنـه « الزمن » الذي تشكلت فيه وتكثفت .. وازدادت عمقاً ونضجاً .. وبهذا الاستخدام الجديد للتاريخ .. يحقق البياتي .. فتحاً جديداً للشعر العربي .

ويصل الى قمة النجاح .. لهذا الاستخدام الجديد لمحتوى التاريخ .. في قصيدته « عذاب الحلاج » عندما يكشف في متصوف الاسلام الاعظم .. بعداً آخر .. اكثر جدوى وأهمية من مجرد الصراع بين « الكلمة والفعل » – كما يرى صلاح عبد الصبور مثلاً .. فالحلاج عند البياتي يأخذ مكانه في الصراع الذي يجتاح عالمنا منذ الازل .. وقضيته هي قضية الفقراء

. . . .

ياسكرى بحبه

محيري في قربه

يامغلق الابواب

الفقراء منحوني هذه الاسمال

وهذه الأقوال

فمد لي يديك عبر سنوات الموت والحصار .

. . . .

. . . .

بل وتأخذ فلسفة الحلاج كمتصوف يؤمن بالحلول وبالعود المتجدد ، معنى ثورياً فالحلاج المقتول ككل المناضلين الشرفاء .. لا ينتهي بتصفيته جسدياً .. بل يتحول كدلالة الى اضافة ثرية .. تعطي كيفاً جديداً لحركة التحرر الانساني .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اوصال جسمي اصبحت سماد
في غابة الرماد
ستكبر الغابة يامعانقي
وعاشقي
ستكبر الاشجار .

. . . .

. . . .

وهنا يلتقي البياتي بآخر مكتشفات الفكر التقدمي في الفن . حيث تصبح معرفته الجدلية كمثقف ، المنعكسة في عمله كفنان خالق ـ مثالاً تطبيقياً نادر النقاء ـ لآراء روجيه غارودي النظرية . في حقل الفن بالتحديد .

فيتفق البياتي مع غارودي الذي يرى ان الاسطورة ليست مشاركة بل خلقاً . وانها ليست الا لحظة من لحظات العمل . وانه في كل اسطورة عظيمة ـ شعرية كانت ام دينية ـ يستعيد الانسان مفارقته الذاتية تجاه كل نظـــام معطى . ويغدو الحاضر هو خميرة المستقبل . يقول غارودي « ان معنى التاريخ قد ولد مع الانسان الاول ، مع العمل الاول ، مع المشروع الاول ، وهـذا المعنى يغتني بكل مشروعات البشر ، اي انه سيظـل هنـاك دائماً مهمات تقتضي الاداء .. وخلـق ينتظر » .. كما يعرف البطل الاسطوري بانه « ذلك الذي يغي بوجـدانه قضية يطرحها على الانسان وضـع تاريخي والذي يكتشف معناها الانساني ، اي الذي يتخطى الوضع ، والذي يؤلف لدينا انتصاره بـــل واخفاقه مسؤولية لحل قضايا عصرنا » .

وهنا ندرك معنى « عذاب الحلاج » و « محنة ابي العلاء » و« دلالة سبارتاكوس » وترابط ربطاً واعياً بين هؤلاء وبين « عمال مارسيليا » وآراجون وجيفارا وناظم حكمت وايلوار وصوت لينين وشعر ماو تسي تونغ .. وأزمة الديمقراطية في الوطن العربي .

ففي قصيدته عن « الموت والثورة » المهداة الى جيفارا .. وهي احدى قصائد « الموت في الحياة » آخر دواوينه .. تتزامن الأناء جميعاً ، وتتداخل المعارك حتى ليبدو الزمن لحظة حية واحدة ويبدو الصراع جبهة متشابكة بلا حدود .

. . . .

كان مغنيها على قيثارة مذبوح

تحوم حول وجهه فراشة

مصبوغة بدمه المسفوح

كان على البساط

قميصها الاخضر والاقواط

وخصلة من شعرها : تعويذة الغابة والصحراء

والبحر والسماء

كان مغني « قرطبة »

ملطخاً بالدم فوق العربة

تبكيه جنيات بحر الروم

وقاطفات زهر اللؤلؤ والكروم

.. لا لا تجر يافرات حتى أكمل النشيد

كقدر الأغريق
كالموت كالطاعون كالحريق .
محتومة تظهر في السماء ...
علامة الثورة فوق السم والشرور
فهي عبور من خلال الموت
وصيحة عبر جدار الصوت
خطيئة لا بد ان تغفر ، ان تعمد الدماء
مسارها المحتوم

. ...
....

وفي قصيدته « الموت في غرناطة » من نفس الديوان : —

....

معلم الصبيان
لوركا يموت ، مات
اعدمه الفاشيست في الليل على الفراش
ومزقوا جثته وسملوا العينين
لوركا بلا يدين ..
يبث نجواه الى العنقاء
والنور والتراب والهواء
وقطرات المـــاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ايتها العذراء
ها أنذا انتهيت ..

....

....

ويحي على العراق
تحت سماء صيفه الحمراء
من قبل الف سنة يرتفع البكاء
حزناً على شهيد كربلاء
حزناً على شهيد كربلاء
ولم يزل على الفرات دمه المراق
يصبغ وجه الماء والنخيل في المساء

....

....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقضية الثورة ليست قضية لوركا بمفرده ، بل ان اعدام لوركا انما يتم بيد الفاشيست .. « على الفرات » تماماً كما يقفز لوركا «مغني قرطبة» الى قصيدته المهداة الى جيفارا .. ملطخاً بالدم فوق العربة ..

وفي « هوامش » ديوان « الموت في الحياة » يفسر الشاعر ما يعنيه بعائشة في قصيدته « مرثية الى عائشة » و « الموت في غرناطة » و « الموت والحب » و « مراثي لوركا » و « عن الموت والثورة المهداة الى جيفارا .. » و « موت الاسكندر المقدوني » .. كلها تؤكد احساس الشاعر بالمأساة الناتج ليس عن نكسة يونيو فحسب .. بل عن السلبيات التي تمس مسيرة الثورة العالمية

وتهدد تقدمها . .) فهي « رمز للحب الازلي الواحد الذي ينبعث فيضه ما لا يتناهى من صور الوجود » و « هي الذات الواحدة التي تظهر فيما لا يتناهى من التعينات في كل آن . . » :

ولا نحتاج الى التأكيد على ان عائشة التي تبكي على الفرات ، ليست الا قضية الثورة المهددة .. وحقيقتها التي يعمل الامبرياليون على القضاء عليها .. باغتيالهم لجيفارا وذبحهم للوركا .. ومن هنا تظهر كمعادل لهذه القوى الشمولية - ابواق التتار .. وقدر الاغريق .. وضجيج الاخوة الأعداء .. لذلك :

يا قدري المحتوم

تهاجر الثورة كالطيور

تعود مثل النور

تموت كالبذور

تنبعث كالبذور

في باطن الارض التي تسحقها الآلام والمجاعة ..

....

من هنا – وكما يقول غارودي – « نستطيع ان نكشف معنى الحياة في التاريخ كامتـــداد للمحاولة والفعل والخلق والمبادرة .. كتاريخ للانسان كمسؤول عن المستقبل . . . » .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

صدر حديثاً

أغانٍ على جدار جليدي

مجموعة شعرية

محمد عمران

أغاني الإنسان في سبيل الحرية

السعر: ١٢٥ ق.س

منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق

المسرحية

الاخوة هوراس والاخوة كورياس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

برتولد برشت

Bertold Brecht

ترجمة : سعيد حورانية

مسرحية «الأخوة هوراس والاخوة كورياس»(١) هي المؤلف الثاني الذي استوحاه « برشت » من النضال ضد النازية . أما عمله الأول فكان انتقادياً « الرؤوس المستديرة والرؤوس المدببة » وقد كتبت هذه سنة ١٩٣٤ ونشرت عام ١٩٣٨ في الجزء الثاني من مؤلفات برشت التي أصدرتها في لندن دار « ماليك ف ايلاغ ».

وان الترجمة التي نقدمها للقارىء ليست هي الترجمة الأولى : فهذه المسرحية للطلبة كان قد ترجمها الى الانكليزية ج . س هاي سنة ١٩٤٧ .

وعلى الرغم من التلميحات ، التي تكاد تكون ظاهرة ، الى الاستعمار الالماني النازي ، والى البلدان التي وقعت (في المستقبل) ضحية اعتداءاته فان هذه المسرحية القصيرة تستهدف أيضاً – عن طريق الادانة الساخرة لقصة مألوفة عند الطلاب – تحليل دوافع الحرب بشكل عام . ولكن بالرغم من أن هذه المسرحية هي من نوع المسرحيات التعليمية التي كتبها برشت قبل تسلم هتلر السلطة بوقت قصير، فانها قد كتبت في وقت ونشرت في وقت آخر .

وسوف نلاحظ في خطوطها العامة ، وفي رمزية الاخراج ، تأثير المسرح الصيني الذي لم يخش برشت أن يتفاعل معـــه ويمزجه بالتقاليد الكلاسيكية لموضوع كورني (كما يلاحظ ذلك بشكل ظاهر في التوجيهات المسرحية في آخر الكتاب) .

---

(١) الترجمة المقدمة في هذا العدد هي للنص الفرنسي :
Bertold Brecht : Théatre Complet III : les Horaces et les Curiaces Editions l'Arche 1963 .

الأشخاص

هوراس الأول : رامي قوس
هوراس الثاني : حامل رمح
هوراس الثالث : حامل سيف

كورياس الأول : رامي قوس
كورياس الثاني : حامل رمح
كورياس الثالث : حامل سيف

جوقة الأخوة هوراس
جوقة الأخوة كورياس

زوجات الأخوة هوراس
زوجات الأخوة كورياس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عرض القوى

(مدينة الأخوة هوراس ومدينة الأخوة كورياس ، وكل واحدة من المدينتين تتوجه بالخطاب الى قواد حربها) .

جوقة الكورياسيين : ماذا يجدينا أيها الكورياسيون أن يذبح بعضنا بعضاً ؟

من جديد ... يمر شتاء

ودائماً يظل محتدماً بين ظهرانينا

الصراع المشؤوم من أجل الأرض

الصراع من أجل المناجم

ولأجل هذا

قررنا أن نضع أنفسنا تحت السلاح

وبثلاثة جيوش

نخترق بالقوة المسلحة بلاد الهوراسيين

لاخضاعهم كلية

ولتملك كل ثروات أرضهم

وما تحت أرضهم .

(يصيحون مخاطبين الهوراسيين)

اخضعوا !!

سلموا معامل حديدكم ، وحقولكم ، وأدواتكم !

وإذا لم تفعلوا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مستغرقون بقوة عسكرية

بحيث لا يستطيع أحد منكم أن يفلت منها

جوقة الهوراسيين : ها كم قطاع الطرق !

يريدون اجتياح بلادنا بقوات ضخمة .

انهم يريدون حقاً أن يتركونا نعيش ،

إذا سلمناهم فقط

كل ما هو قوام حياتنا .

لماذا الخوف من الموت

اكثر من الخوف من الجوع ؟

أبداً لن نخضع .

جوقة الكورياسيين : اننا نضع بين أيدي القادة

الفرق والاسلحة

جوقة الهوراسيين : اننا نضع بين أيدي القادة

الفرق والأسلحة

- (تثبت في ظهور القادة بنود ذات أعلام صغيرة، رمزاً لعدد الفرق التي سجل أنواعها كل من الفريقين على لوحة القوى)

جوقة الكورياسيين - أيها الجنرال !

اننا نضع تحت تصرفك سبع فصائل من رماة النبال .

جوقة الهوراسيين - أيها الجنرال

اننا نضع تحت تصرفك سبع كتائب من حملة الرماح

جوقة الكورياسيين - أيها الجنرال !

اننا نضع بين يديك اثني عشر حشداً من حملة السيف .

ARCHIVE
http://...t.com

جوقة الهوراسيين - أيها الجنرال !

انا نضع بين يديك سبع فصائل من رماة النبال .

جوقة الكورياسيين - أيها الجنرال !

انا نضع تحت قيادتك سبع كتائب من حملة الرماح

جوقة الهوراسيين - أيها الجنرال !

انا نضع تحت قيادتك اثني عشر حشداً من حملة السيف

قواد الحروب جميعاً - إيتونا بالسلاح !

(تحمل الاقواس والرماح والسيوف والتروس)

جوقة الكورياسيين - من هذا الفيض من السلاح ، أختاروا الافضل .

جوقة الهوراسيين - ها هي ذي أسلحتكم .

(توضع كتلة من الاقواس عند اقدام الاخوة كورياس)

كورياس الاول - يجب أن يكون القوس جيداً

فبدون قوس جيد ،

لا أستطيع القتال .

(يوتّر قوساً فينكسر)

جوقة الكورياسيين - ألق به .

(كورياس الاول يلقي بالقوس ويوتّر قوساً جديداً ، انه قوس جيد كما يبدو)

كورياس الاول - أنا راض بهذا القوس

(يوضع قوس امام هوراس الاول فيوتره بحذر)

هوراس الاول - أستطيع أن أشدّه اكثر ولكنه سينكسر

جوقة الهوراسيين - اذن سترضى به ، اننا لا نملك سواه .

هوراس الاول - ولكنه لا يرمي بعيداً جداً

جوقة الهوراسيين - حسناً .. تقدم اكثر من العدو !

هوراس الاول - ولكني بذلك اخاطر بنفسي كثيراً

جوقة الهوراسيين - بالتأكيد !

زوجات الاخوة هوراس -

اذا لم يكن رامي السهام موافقاً بسبب موضوع القوس

لا يمكن خوض المعركة

هوراس الاول بحيوية - أنا موافق عليه .

(يقدم رمحان لهوراس الثاني)

جوقة الهوراسيين - هذا رمحك وهذا رمح لكورياس

أنت ترى أنهما بنفس الطول ونفس الثقل

وهكذا يا حامل الرمح .. ستقاتل بسلاح متكافيء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جوقة الكورياسيين - احمل الرمح الجديد

(يعطى بالمقابل كورياس الثاني رمحاً طويلاً جداً ، ويقدم الى كورياس الثالث خمسة تروس ضخمة، فيذهب من الواحد الى الآخر ويجرب أن يخترقها بسيفه ، فيخترق ثلاثة منها ويحتفظ لنفسه بواحد من الباقيين)

كورياس الثالث - سيفي تثلّم

(يعطى سيفاً آخر)

جوقة الكورياسيين - هوذا سيف جديد

(كورياس الأول - يقطع بهذا السيف خصلة شعر حصان اقتلعها من رأس خوذته)

كورياس الثالث - بهذا الترس ، وهذا السيف ، أنا حسن التسليح

(يوضع أمام هوراس الأول ترسان واحد صغير وواحد كبير)

هوراس الثالث ـ أريد أن أجربها لأختبر

(يخترق الكبير ويستدير نحو الصغير)

جوقة الهوارسيين ـ انتهى .. لقد جربته ، وهذا الذي لم يمس
مصنوع من نفس المعدن
ولكن الترس الأول لم يكن محولاً بالشكل المناسب

(يمسك محارب بالترس ، بينما يوجه هوراس الثالث اليه الضربات ولكن بالمقلوب بحيث أن الضربات لم تكن إلا لتنزلق على الترس)

هوراس الثالث ـ فهمت .. مادام أنه لايقاوم الضربات المستقيمة
يجب أن أسهر
على ألا تصل إلى الضربات إلا موازية

جوقة الهوارسيين ـ هل يجب أن نصلح لك الترس الكبير اذن ؟

هوراس الثالث ـ كلا ... سآخذ الصغير ، إنه لمن الأفضل أن يكون خفيفاً .

(يأخذه)

أنا راض بهذا الترس ، فيه اكون حراً بحركاتي .
أما من جهة السيف فانني أعرفه
فأنا بنفسي الذي طرّقته
وصنعته كاحسن ما أستطيع

زوجات الاخوة هوراس ، وزوجات الاخوة كورياس :

ـ والآن هيا .. لن تعودوا كلكم

القادة كورياس - دون بكاء

هيئن غار النصر

فسنعود مثقلين بالغنائم

زوجات الاخوة كورياس - سنعد الأيام حتى عودتكم

مكانكم على المائدة ، ومكانكم في الفراش

سيبقيان فارغين .

القادة هوراس - كيف ستحرثون الحقول

كيف ستقومون بادارة المشاغل

بدوننا ؟

زوجات الاخوة هوراس - لاتحملوا انفسكم هماً .

فالحقول ستحرث

ولكن قاتلوا كما لو أن المحصول ، سيعود إلينا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جوقة الهوراسيين - لأجل احباط العدوان

لأجل ألا نقع تحت نير العدو

لأجل ألا تقع معامل حديدنا ، وحقولنا ،

ومحترفاتنا بين يديه .

لقد عزمنا أيها الهوراسيون

أن نتقدم بثلاثة جيوش مسلحة

ونقاتل

حتى اندحار العدو التام

* * *

معركة الرماة

كوراس الأول - البارحة مساء
شغل العدو الموقع
الذي كنت أريد له أن يشغله .
لقد اخترته بحيث ينبغي عليه أن يتقدم من خلف
الجبل لكي يصل إليّ .
وهكذا لم يبق بيننا سوى مسافة قصيرة
المسافة التي تسمح لي أن أرى رمية قوس .
انني انتظر في الوقت الحاضر ارتفاع الشمس ؛
يجب لها أن تظهر
في الوقت المناسب تماماً

كورياس الأول - الخصم ينتظرني بين الجبال
التي لاأعرفها .
انني أجهل
على أيّ بعد مني يكمن
على أن الريح لاتعاكسني

وقوسي جيد .
فلننتظر الشمس .

الجوقتان — أخذ الراميان موقعيهما .
المعركة ستبتدىء
عند انتشار الضوء .

المتحاربان — لقد حان الوقت .

(المتحاربان يوتّران قوسيهما ؛ في أقصى المشهد ، يجول ممثل ببطء مع عصا على طرفها نور كاشف يمثل الشمس ، ويسير في المسرح من اليمين الى الشمال . ويجب أن يقوم بذلك مدة دوام المعركة ، بحيث أنه عندما ترتفع الشمس فوق جبل هوراس ، يكون هذا في الظل وخصمه في النور الساطع .)

كورياس الأول — آه ! إن الشمس تعشي بصري !
لاأستطيع التسديد ،
وخصمي في الظلمة ؛
إن ظل الجبال يساعده على التمويه .

(المعركة الأول ، سهم كورياس الأول المبهور بالشمس يمر عالياً جداً . هوراس الأول يصيب كورياس الأول في ركبته)

كورياس الأول (نازعاً السهم من ركبته) :
— لقد أصبت
وعدوي لم يصب .
لقد نسيت أن الشمس

لاتنير فحسب ؛
وانما تعمي أيضاً .
اني بحاجة الى الشمس لكي أسدد ،
ولكن يجب أن أعرف خاصة
من أين تأتي .
إن موقعي سيء ؛
فسيسمّرني خصمي بسبب ركبتي المحطمة .

جوقة الكورياسيين ـ ماذا خسرت ؟

(كورياس الأول يرى مدى خسائره ، مقتلعاً من الجعبة التي يحملها على ظهره ، اثنين من اعلامه الصغيرة ويرميها على الارض. جوقة الكورياسيين تخاطب بطلها بينما تمحو حشدين من لوحة القوى) :

من بين فضائلك السبع
خسرت منها اثنتين ؛
ولكن سلاحك جيد ؛
لقد كلف غالياً واذن فهو جيد .
الزمن يعمل في صالحنا
ككل الأشياء الاخرى .
لا ترتكب الخطر .
فالشيء الحاسم في آخر المطاف .
هو جودة الأسلحة .

هوراس الأول ـ قوسي لا يرمي بعيداً بصورة كافية ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن الشمس اعشت خصمي .
وسهمي
حطم منه الركبة على الاقل .
ان موقعي جيد

جوقة الهوراسيين (لبطلنا) :
ـ لماذا توقفت ؟
ان الموقع الحسن ؟
لا يبقى دائماً حسنا .
وحالتنا ستسوء
ان لم نحسنها
الشمس تتصاعد في السماء
دون رحمة .
والظهر يحل محل الصباح ؛
بصورة لا تقاوم .

هوراس الأول ـ كنت اريد ان اقاتله بثلاثة أسهم
عندما تكون الشمس في وجهه ؛
والسهم الاول لم يقتله بالتأكيد
ولكنه أصابه ؛
وقد هبط الآن الى ملجأ بين صخوره ؛
واوقف المعركة .
لكن الشمس تتابع دورتها ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وظل الجبل الذي يحميني يتضاءل .
اني ابتعد عن عدوي ،
مادام سهمي لم يعد يستطيع أن يناله .

جوقة الهوراسيين — انه لأمر مغيظ ان يكون قوسك رديئاً ،
ولكننا لا نملك افضل منه .
ألقه ... قاتل بقبضتك ؛
يجب ان تستعمل كل الوسائل
وعلى كل حال .. افعل شيئاً .

هوراس الأول — لست من رأيكم ؛
فقد جرحت ، على كل حال ، عدوي بقوسي
انني رام ، لا ملاكم
وخلال الوقت الذي اقتضته تعليماتكم للوصول الي
كان الظهر قد حلّ ؛
وأجد نفسي الآن في النور .
سأنطلق اذن حتى اجد مكاناً ؛
استطيع منه اصابته ؛
حينما يكون مبهوراً بالشمس .
وها هو الاشتباك الثاني يبدأ .

(في هذا الوقت تصل الشمس الى نقطة تقع في منتصف المسافة بين الجبلين بحيث يجد المتحاربان نفسيهما في النور الساطع)

كورياس الأول — لقد ظهرت الشمس من خلف الجبل ؛ والعدو تقدم ؛

انه مكشوف ،

ربما استطيع ان اصيبه الان .

هوراس الأول - اخرج اذن يا قاطع الطرق

وارم بسهمك .

آه !.. انني لم اعد ارى شيئاً ؛

فالشمس تعشيني بدوري .

(المعركة الثانية ، السهان يمران عالياً جداً)

هوراس الأول وكورياس الأول (يتجهان الى جوقتيها) :

- انتهى الاشتباك الثاني .

ورمى كل منا سهمه ؛

ولكن السهم انحرف جانباً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جوقة الكورياسيين (الى بطلها)

- ولكن حالتك

قد تحسنت .

هوراس الأول - الشمس تتقدم في السماء

دون رحمة .

والظهيرة تتحول الى مساء

تحوّلاً لا يقاوم .

ولكن ما العمل ؟

لئن كان بصري قد بُهر ؛

عندما كانت الشمس في السمت ؛

فلابد ان خصمي كان في مثل حالتي .

ولا يزال على ما كان .

استطيع التقدم اذن .

وهكذا كما كنتم نصحتموني ؛

سأقاتل بالقبضات .

(يسير بضع خطوات نحو الشمال ، ولكنه يقف متفحصاً الافق وبده على واقية الشمس (في الخوذة) يخاطب الجوقة) :

ــ كنت اريد ان اتقدم ، ولكن هاهي الشمس ؛

قد اصبحت خلف الجبل الثاني .

العدو الآن في الظل

وانا في الضوء الباهر

وانا اذ اتبعت نصحكم مساء

نسيت انكم اعطيتموني اياها ظهراً .

(تغرب الشمس وراء الجبل الثاني بحيث ان كورياس الاول أمكن له ان يوجه الى هوراس الاول ، بسهمه الثالث ، الضربة التي قتلته)

كورياس الأول ــ النصر !!

لقد اصابه سهمي الأخير .

ان حالتي التي كانت سيئة ؛

قد تحسنت كثيراً خلال يوم .

وعلى كل حال فالذي حسم المعركة ؛

هو النوعية الفضلى لقوسي ،

التي قررت المصير .

جوقة الكورياسيين ــ النصر !

أبيد للخصم واحد من جيوشه
مما حرر خمس فصائل من نبّالينا لأجل المعركة الاخيرة
وبعد فترة من الراحة يزحفون صوب الشرق ،
ليحققوا التقاءهم بجيوشنا الاخرى

جوقة الهوراسيين — منذ ان اعلن انه يريد الهجوم اخيراً
لم تندّ عن جيشنا المسلح اية اشارة تدل على الحياة .
يجب الاعتقاد بأنه قد ابيد
لقد تشبث بعناد بنفس المكان .
وتشبث بنفس السلاح .
وتشبث بنفس التعليمات .
وخلال ذلك ، كانت الشمس ترتفع في السماء ارتفاعاً
لا يرحم .
الصباح تبدل بالظهر ، والظهر بالمساء ؛
بصورة لاتقاوم .
(الى زوجة القائد)
أيتها الزوجة
من زوجك لم تعد تصلنا اية انباء
ولكن تسمع صرخات النصر
متصاعدة من مدينة العدو .
مما جعلنا نستنتج ؛
ان رامي القوس قد سقط .
(تلبس الزوجة رداء الحداد)

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

امحوا سبع فصائل من لوحة القوات .
هناك حيث كانت ، لم يعد لها وجود .
والمخطط الذي كان يعتمد عليها ؛
يجب ان تنفذه جيوش أخرى
(يمحى من اللوحة سبع فصائل من النبالين)

جوقة الهوراسيين — العدو يتقدم في سهولنا
وجيوشه تضم بين ماتضم
سادات السخرة .
واولئك الذين أراقوا دمهم ؛
يجب الآن أن يدفعوا الفدية .
وسهل القمح الذي كان خصباً
لم يعد الآن اكثر عطاء من أرض حصباء .
ذلك أن العدو هو الذي يأخذ القمح .
الفلاح يمسح دائماً عرق العينين
ولكن الذي يأكل الخبز
هو ذاك الذي يحمل السيف .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

-٢-

معركة حاملي الرماح

جوقة الهوراسيين - العدو يتوغل في جبالنا .
انه يسير في الفجاج ؛
بمحاذاة نهر متلاطم
يجب أن توقفه يا حامل الرمح

هوراس الثاني - لقد رأيته يقترب ؛
رمحه ضخم جداً
ومن المستحيل إيقافه في معركة منظمة .
إذاً كنتم موافقين ؛
فإني سأنهكه دون أن أعرض نفسي للخطر .
ولكن هذا يقتضيني أن اجتاز مسافة طويلة .
ولا أملك إلا قليلا من الوقت .

جوقة الهوراسيين - نحن موافقون
على أن تدبر أمر قواتنا .
لقد فقدنا منذ قليل واحداً من الجيوش .
ولكن أيّاً كان الثمن ؛
أوقف العدو

(هوراس يسير بصعوبة خلال الجبل لملاقاة العدو ، فيصل الى مكان صخوره بارزة فوق الطريق ، فيتسلقهـا مستعيناً برمحه)

هوراس الثاني – انني أتسلق الجبل ؛
رمحي هو عصاي ذات السنان ؛
إنها ساقي الثالثة ؛
التي لاتتألم أبداً
والتي لاتتعب ابداً
هناك أشياء كثيرة في شيء واحد .
(يتوقف أمام وهدة)
ما العمل الآن ؟
فها هي ذي وهدة .
عندما كنت صبياً ؛
كنت أتعلق بغصن من السنديان
ومن فوق النهر كنت اهبط الى بستان مليء بالتفاح .
ورمحي .. الذي كان سابقاً غصن السنديانة ؛
يجب ان يعود غصناً
الوسيلة الوحيدة لاجتياز الوهدة .
هناك اشياء كثيرة في شيء واحد .

(يضع رمحه عبر الوهدة ويتعلق به بيديه ويتقدم ، رجلاه مدلاتان في الفراغ) :

جوقة الهوراسيين - العدو نفذ الى اوديتنا !!

أوقف العدو .

هوراس الثاني - ما العمل في الوقت الحاضر ؟

لقد قمت فعلاً باجتياز الوهدة .

ولكن ها هي ذي هوّة مليئة بالثلج .

كيف السبيل لمعرفة ما إذا كانت عميقة ؟

رمحي سيصبح مسباري .

هناك اشياء كثيرة في شيء واحد .

(يسبر غور الثلج)

ما العمل ؟

الثلج عميق جداً بالنسبة لي ؛

والصخرة المواجهة عالية جداً .

كي اتمكن بوثبة واحدة من اعتلائها ؟

سالتجيء الى رمحي من جديد .

وإنني اقول انه سيصبح عصاي للوثب .

هناك اشياء كثيرة في شيء واحد .

(يقوم بوثبة مستعيناً بالرمح)

جوقة الهوراسيين - العدو يتقدم ،

ويسوق قطعاننا

أسرع ! اوقف العدو .

هوراس الثاني - ولكن ما العمل الآن ؟

ما هو ذا معبر ضيق ؛
بحيث لا يُستطاع وضع القدم فيه .
إذا منعني الآن هذا المعبر من المرور ؛
يكون كل ماجشمت به نفسي عبثاً .
يجب أن اسلكه حتى النهاية مستعيناً برمحي ؛
لأحتفظ بالتوازن
ووزنه الذي وجدته ثقيلاً طوال التسلق ؛
سيصبح مفيداً جداً لي الآن ؛ وانني اقول :
هناك اشياء كثيرة في شيء واحد .
(يسير متوازناً في المعبر مستعيناً برمحه كأنه بهلوان)

جوقة الهوراسيين – العدو يقترب
من مناجمنا ! . .
اوقف العدو .

هوراس الثاني – لقد وصلت . . .
انني انحني من فوق الذروة ؛
من تحتي يمر الدرب الذي سيسلكه عدوي .
سأسحقه تحت كتل من الصخور ؛
التي سأتمكن من اقتلاعها ؛
بواسطة رمحي .
هناك اشياء كثيرة في شيء واحد
(يقتلع كتلة)

ان رمحي هو العتلة التي سأستعملها .
إنها تمسك بالصخور حتى يمر عدوي تحت ؛
وبدفعة بسيطة من اصبعي ؛
سيتهشم عدوي .
إن رمحي يصلح لكل شيء .
هناك اشياء كثيرة في شيء واحد .
(يكدس كتلاً مما يمكن أن يحدث انهياراً جبلياً صغيراً).
إن عدوي لم يصل بعد ؛
والسير قد اضناني ؛
(يجلس منتظراً)
انني اسند ظهري إلى الحجر ؛
عارفاً تمام المعرفة أنه ينبغي لي ألا انام .
وليس الامر انني اكثر اعياء ؛
من ان اقوم بعمل ما !
بل اكثر إعياء من أن ابقى عاطلاً عن اي عمل .
حتى انني سأنام .
(ينام .. يشاهد كوراس الثاني وهو يتقدم ببطء ، بينما يظل هوراس الثاني نائماً ، يتصرف كما لو انه اجتاز الآن مكان الخطر).

هوراس الثاني – ها قد استيقظت .. ولدى انحنائي من فوق الذروة ؛
ناظراً إلى الاسفل ؛
ارى ان عدوّي ؛
اجتاز منذ قليل الموضع ،

الذي كنت اريد ان اصرعه فيه .
ان جربي الذي قادني الى الهدف ،
قد انهكني في نفس الوقت ؛
ولم استطع ان انفذ الخطة .

جوقة الهوراسيين – رماحنا قد قام بسيرة طويلة ،
وقهر كل الموانع .
ولكن الاعياء ،
حرمه من ثمرة جهده .
هناك ما هو أسوأ من معركة تخسرها ؛
انه ضربة سيف في الماء .
والآن يا حامل الرمح ،
انهض !
وانس ما فعلته حتى الآن .
اندفع من جديد لملاقاة العدو ،
ولو بحظ اقل في النجاح .

هوراس الثاني – لم اعد استطيع شيئاً !
لقد قمت بكل ما كان بوسعي .

جوقة الهوراسيين – إذن اصغ جيداً :
هذا لا يكفي
لو انك بقيت نائماً فوق العشب تعد الغيوم ،
هل كانت اعمالنا تصير الى مصير اسوأ ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد قمت بعمل الكثير ؛
ولكنك لم توقف العدو .

هوراس الثاني - أليس في كل ما صنعته ؛
اي خير إذن ؟

جوقة الهوراسيين - ليس الامر كذلك ،
ولكنك لم تدرك غايتك .
يجب وقف العدو .
ابتدع ايّ شيء آخر ؛
انت الذي ابتدعت منذ قليل كثيراً من الاشياء ؛
انت الذي تحملت منذ قليل الكثير من الالم .
أجهد نفسك مرة ثانية ؛
أوقف العدو .
كل مافعلته حتى الآن ؛
يخدم مجدك فيما اذا أوقفت العدو .
ولكن لن يحسب لك أي شيء ؛
اذا لم توقفه .
ان جهودك السبعة لاتساوي شيئاً ؛
ولكن اذا انجزت الثامن ،
واذا أوقفت العدو ؛
عندئذ ستُحسب لك الثانية .

هوراس الثاني - أنا موافق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى ذلك هاأنذا أنهض من جديد .
سأجتاز مرة أخرى وفي اتجاه معاكس ؛
الطريق الذي قطعته لأصل الى هنا .
والمعركة التي كانت تبدو لي دون أمل ؛
سوف أخوضها .

(بينما تتبع الجوقة هوراس الثاني يتم هذا نزوله ، يعيد كتلة الصخور الى توازنها ، يسحب رعه من تحتها ، يعيد اجتياز المعبر ، يسبر عمق هوة الثلج ، يقوم بقفزة بالعصا ، يقطع الوحدة متعلقاً برعه ، وأخيراً يشرع بالهبوط . تلفه عاصفة ثلجية . وحيث أراد السرعة فقد تكبد عدداً من الخسائر : ترك واحداً من أعلامه الصغيرة غائصاً في الثلج ، وأضاع آخر في المعبر ، وترك الثالث يسقط منه في الوحدة) .

جوقة الهوراسيين — تراجع !!
لقد أضعت الوقت :
ولا بد من ضياع المزيد .
لقد وهنت قواك :
في وقت كان يجب فيه بذل الجهود مضاعفة ؛
فالذي يكون بلا شجاعة
لاتوفره الأعاصير والعاصفات الثلجية .
وذاك الذي يرى النصر في متناول اليد ؛
يمضي الى الهدف مذللا العديد من المصاعب .
ولكن ماهو مؤلم حقاً ،
أنك عندما تتراجع تتعرض للأخطار نفسها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي تتعرض لها عند التقدم .
وبعد الهزيمة ، تنفق طاقة مضاعفة ؛
وتستنزف من ابداع الفكر جهداً أكثر مرتين ،
لكي تصل في النهاية ،
لاستعادة المواقع
التي كانت أصلاً في حوزتك ،
والتي لم يكن ليتطلب الاحتفاظ بها أي جهد .
وكل المعجزات المبتدعة ؛
لاتفعل سوى ان تقودك الى الوراء .
وكل الضربات الصائبة
لاتفعل سوى محو الأخطاء السابقة
ومع هذا . .
أن تتراجع دون أن تكف عن القتال ؛
هو بداية التقدم المظفر .

هوراس الثاني – يالها من عملية ناجحة .
لقد بلغت من جديد نقطة الانطلاق .
وبالنسبة للمعركة القادمة ،
لم أعد أرى ، مادام رمحي قصيراً جداً ؛
سوى إمكانية واحدة :
عندي خطة !
والنجاح فيها غير مؤكد ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتنفيذها محفوف بالمخاطر .

ولكني لا أجد وسيلة أخرى ،

لوقف العدو .

من الصحيح بالنسبة لهذه الخطة

أن رمحي مايزال طويلاً جداً .

وهكذا .. إذا لم أستطع تطويله

أستطيع على كل حال أن أقصره .

(يكسره قطعتين ، ويلقي واحدة منها ويمضي)

جوقة الهوراسيين — ولكن نحن ،

يجب ان نمحو من لوحة القوى ،

الكتائب الثلاث ،

التي بقيت في الثلج وفي الوهدة والمعبر .

وأن نضع أملنا ،

في جيش تضاءل تعداده .

• • •

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

كورياس الثاني – اني اتبع مجرى النهر ، من جهة حاجز صخري ، ومن الجهة الأخرى النهر . الجبل صعب التسلق ، والنهر غير صالح للملاحة ، ذلك ان شلالات مميتة تعترضه في الأسفل . ولا مواجهة ايضاً تمكن مقاتلتي لأن رمحي بالغ الطول ، بحيث ان العـــدو لا يستطيع إصابتي برمحه .

(هوراس الثاني يصل نازلاً النهر على طوف مجدفاً بقطعة رمحه).

ها هوذا عدوي عن يميني ينزل النهر على طوف ، إنني لا أرى معه أي سلاح ، انه يقترب بسرعة كبرى . أنا لا أستطيع حتى المناورة برمحي بين التجاويف الصخرية فهو طويل جداً .. أما هو .. ها هو يسحب فجأة من الماء مقبض مجذافه ، ويسدد سنانه نحوي .

هوراس الثاني – ها أنذا اتبع منحنى النهر
منتصباً يحملني التيار الكبير
ورمحي يقوم مقام مجذاف .
هناك في الشيء نفسه أشياء متعددة
والآن وقد بلغت عدوي ؛

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

فإن المجذاف عاد رمحاً كما كان !

وبه أضرب .

كورياس الثاني — وبكل قوة التيار الذي يحمله كحصان سباق

طعنني في عنف عبوره بقطعة الرمح .

انني انهار ..

ولكن خصمي قد انتهى

سوف تبتلعه التيارات .

وها انني باق في قاع هذا الممر الجبلي بـــلا حراك ،

مجروحاً جرحاً بليغاً .

هناك شيء نسيته : لا .. ليس صحيحاً أن الملاحة غير ممكنة في هذا النهر ، إن المرء يمكنه ان يمخر عبابه .. لكن مجازفاً بحياته .

وليس صحيحاً أيضاً ان مهاجمتي غير ممكنة في موقعي هـذا ، لقد استطاع مهاجمتي وخاطر بحياته ، وهكذا فان عدوي قد سقط ، ولكنه أصابني اصابة بالغة .

جوقة الكورياسيين — ماذا خسرت ؟

(كورياس يظهر مقـــدار خسارته ساحباً من الجعبة التي يحملها على الكتف خمسة من أعلامه الصغيرة ويلقي بها)

جوقة الهوراسيين — حامل الرمح قد سقط

ها نحن نمحو أربــع كتائب من لوحة القوى

هنا حيث كانت لم يعد يوجد شيء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإن المخطط الذي وضع لها ،
يجب أن تنفذه قوى اخرى .

(تمحى أربع كتائب من لوحة القوى ، تلبس زوجة حامل الرمح لباس الحداد)

زوجة حامل الرمح — كيف تصرّف ؟

جوقة الهوراسيين — لقد أوقف العدو .
انه قام بمسيرتين طويلتين
وقام بتذليل كافة الصعاب .
وفي النهاية امتطى نهراً
وضم الى قوته الضعيفة .. قوة النهر الهائلة .
(فترة صمت قصيرة)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جوقة الهوراسيين — ولكن النهر الذي قاده نحو عدوه ؛
جرّه معه ايضاً .
لقد شوهد مدة طويلة وهو لايزال يجدّف
حتى وصل الى الشلالات .
ولقد بذل جهوده حتى يبلغ الشط ؛
ولكن الشلالات ، رغم ذلك ، ابتلعته .
إن عدوه لم يقتل !
ولكن هذا العدو الذي تركه ،
هو عدو ضعيف .. بالنسبة لمن سيستأنف القتال .

جوقة الكورياسيين (وهي تمحو من لوحة القوى خمس كتائب من حملة الرماح) :

ـ لقد سقطت خمس كتائب من سبع ،
ولكن النصر
لا يمكن أن يفوتنا .
فجيوشنا تتابع توغلها بصورة لا تقهر .
واليأس يستولي على العدو .
إنه يتهاوى امام اسهمنا ،
ويلقي بنفسه في المياه .
إن الغنيمة لعظيمة .
وأنتم ايها الكورياسيون .. أجّلوا منازعاتكم ؛
على امتلاك الاراضي الجديدة ،
والمناجم الجديدة .
فالمعركة النهائية ستكون غداً ؛
وسنجند لها ثلاثة أسلحة ،
ضد سلاح واحد لدى العدو .

زوجات الاخوة هوراس ـ

رجالنا يتساقطون كالماشية في المسلخ .
وليس على الجزار إلا أن يقترب منها فتسقط !
سقط ذاك الذي كان قائداً عظيماً .
وذاك الذي أبدى شجاعة سقط ايضاً .
وبالنسبة لنا ؛
إننا نحيي التخطيط الكبير والشجاعة

ونبـــكي .

عند رؤيتهم يقاتلون ؛

لانملك سوى أن نبتهج .

وإذا كنا نبكي فانما لرؤيتهم يُصرعون فحسب

لا لرؤيتهم يقاتلون .

أواه .. لايمكن ان تكون منتصراً لمجرد أنك رجعت

ولكن لكي تقول : إنك منتصر ؛

يجب ان تعود أولاً .

جوقة الهوراسيين ـ قطاع الطرق يقتربون .. والمعارك على **أشُدّها** .

فمنذ قليل ذهبوا بفلزات المناجم ،

واختلطت صيحات محاربيهم الجرحى حتى الموت ؛

بصوت رؤساء الفرق ،

الذين يلقون الأوامر على العمال .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٣ -

معركة حملة السيف

هوراس الثالث ـ ها قد مضى يومان وأنا بمجد عدوي ، وبما انه مدرّع بصورة جيدة ، فانني انتظر ان يصل رامي السهام وحامل الرمح .

(كورياس الثالث يلقي عند قدميه قطعة رمح هوراس الثاني المكسورة وقوس الأول)

كورياس الثالث ـ أخواك كلاهما خارج المعركة ، استسلم !!

هوراس الثالث ـ انني اعرف الرمح ، واعرف القوس ؛ ومعنى ذلك أن أخويّ في المعركة هما حقاً خارج المعركة حسب قول كورياس ، يجب اذن ان اعمد الى الهجوم بسرعة رغم درعه ، قبل ان يتوفر له الوقت لينضم الى رامي سهمه وحامل رمحه .

كورياس الثالث ـ كنت اتصور ان هذه الأنباء ترهبه وترده عن الهجوم ، ولكني ارى جيداً أنني لم افعل سوى اثارته .

هوراس الثالث ـ انا ذاهب لآخذه من الجانب .

(يقوم ببضع خطوات الى جانب فيشاهد الكورياسين الآخرين يتقدمان خلف كورياس الثالث الذي كان يسترهما، ويمثلها حامل الرمح متوجاً بالغار ، ورامي القوس وهو أيضاً متوجاً بالغار ومثقلاً بالغنيمة ، ولكن كلاهما الآن مسلح بالسيف) .

لقد فات الوقت .. قد حضروا

حامل السيف كورياس (يصيح بحامل الرمح) :

ـ جرّد سيفك وأسرع ، هي المعركة

حامل الرمح كورياس (يصيح بحامل السيف) :

ـ بينما كنت ماراً بضفة النهر في معبر ضيق

دفعت عدوي في النهر

فابتلع النهر سبع كتائب .

وبالرغم من خسارتي ، وفوضى مر كباتي ؛

هرعت الى المعركة النهائية .

(يصرخ نحو الوراء)

هي المعركة ... اسرع يارامي السهام .

رامي السهام كورياس ـ ها قد وصلت .

بين جبلين ، وعلى ارض لا أعرفها ،

قهرت عدوي بالسهم الثالث .

وقبل ان يأتي المساء ؛

سيكون جيشهم الاخير مهزوماً .

حامل السيف كورياس ـ سيكون لدي سبع فرق زيادة عن خصمي .

حامل السيف هوراس ـ لا استطيع ان اقاتل ؛
لست قد الجملة ،
(يسأل الهوراسيين)
ماذا يجب ان افعل ؟

جوقة الهوراسيين ـ رغم بسالة محاربينا ؛
ورغم معرفتهم الارض
واستعمالهم كل وسائل القتال ؛
خسرنا معركتين ،
وجيشان لنا قد أبيدا .
وزوجتان من ثلاث في مدينتنا
ترتديان لباس الحداد .
وحشودك ياحامل السيف ؛
هي احتياطنا الاخير .
كنت تنتظر الامدادات ،
لاتنتظر اكثر من ذلك ؛
فلن تأتي ابداً .
إن مصير حقولنا وقطعاننا ومشاغلنا ؛
بين يديك .
وليس بيننا وبين قطاع الطرق ؛
إلا أنت .

هوراس الثالث ـ لقد وصلوا

سيسحقني تفوقهم العددي .
فالذراع التي ترتفع ضدي ،
هي ذراع ثلاثية تحمل ثلاثة سيوف .
كيف يمكن الثبات للصدمة ؟
وترسي ليس متيناً .

جوقة الهوراسيين - إياك ان تتقهقر قيد أنملة !
لا مجال لجعل أسلحتك أفضل ؛ فاستخدمها .
لا مجال لجعل اعدائك اقل عدداً ؛ فجابههم .
انقض عليهم ؛ أبد . . .
(هوراس الثالث يشرع بالفرار)

جوقة الكورياسيين - النصر !
العدو يولي الأدبار !
أيها الكورياسيون .. طاردوه .

حامل السيف كورياس - الكل عليه !
لقد أخذ العدو بالفرار ،
أمام تفوقنا الساحق .
عليه جميعاً
وإلا فلسوف يفلت منا .

جوقة الهوراسيين - توقّفْ ! انه لا يسمع .
رجلنا الأخير تخلى عن المعركة ؛
مقاتلنا الأفضل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اشتراه العدو .

(حامل السيف هوراس يحاول وهو ممعن في الركض طمأنتهم بحركة من ذراعه)

لا ينفعك الانكار ! لماذا تركض ؟

جوقة الكورياسيين ـ استسلموا ! سلموا مفاتيح مدينتكم .

وأنتم أيها الكورياسيون المقاتلون لا تدعوه يفلت .

حامل الرمح كورياس ـ (الى حامل السيف) :

لا تدعه يفلت !

على أية حال فأنت ايضاً تستطيع الركض

(الكورياسيون الثلاثة يشرعون في المطاردة ، ولكنهم لا يستطيعون الانطلاق بنفس السرعة ؛ فحامل الرمح المصاب بجرح خطير ظل في المؤخرة ، ورامي السهام ذو الجرح الطفيف يتجاوزه ، ولكن تبقى بينه وبين الاول مسافة).

جوقة الكورياسيين ـ انظروا كيف يركض ؟

ان هذا لن ينقذه أبداً .

وهزيمته لن تكون الا أكثر مذلة .

ولأجل أن يؤبنه قومه بنشيد مأتمي فخور ؛

كان عليه على الاقل أن يملك الشجاعة .

حامل السيف هوراس ـ من حسن الحظ أن يكون ترسي خفيفاً !

فذاك يجعلني أعدو بصورة أفضل .

جوقة الهوراسيين ـ لقد جلّلنا بالعار .

حامل السيف كورياس ـ أنا أركض ايضاً بسرعة

جهد طاقتي .

ولكن ترسي ثقيل ،

حامل السيف هوراس ــ وأنا أيضاً أعدو بنفس السرعة التي تستطيع أن تعدو بها .

ينبغي أن تركض بصورة أسرع يا صديقي !

وإلا ، سينتهي الأمر بأن افلت منك .

جوقة الهوراسيين ــ امحوا حشوده !

هناك حيث كانت لم يبق منها شيء .

والخطة التي وضعت بالاعتماد عليها ....

(في الوقت الذي يكونون فيه في غمرة انهماكهم في حذف حشود حامل السيف من لوحة القوى .. هوراس الثالث يقوم بالتفاف قصير ويهاجم حامل السيف كورياس . خلال المطاردة يتفرق المطاردون)

توقفوا !

انه يعود !

لقد دار نصف دورة !

انه يهاجم !

جوقة الكورياسيين ــ انه يهاجم !

وحامل سيفنا مطروح أرضاً ؛

فترسه ثقيل جداً .

ورامي سهامنا

لم يستطع أن يدركه !

جوقة الهوراسيين ــ لقد حطم رامي سهامنا منه الركبه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجرده من حذائه وخوذته وجعبته .

جوقة الكورياسيين ـ ان حامل رمحنا

قد بقي أيضاً في المؤخرة .

جوقة الهوراسيين ـ ان حامل رمحنا

قد حطّم منه الأضلاع

(هوراس الثالث يصرع حامل السيف اللاهث كورياس بعد معركة قصيرة ويستأنف عدوه نحو رامي النبال)

جوقة الكورياسيين ـ حامل السيف قد سقط .

امحوا .. اثني عشر حشداً من لوحة القوى

هناك حيث كانت

(هوراس الثالث يدرك رامي السهام ويسقط سيفه من يده ويهوي عليه بضربة قاتلة ، ثم يتابع عدوه)

رامي السهام قد سقط بدوره !

والعدو يتابع اندفاعه .

لقد باعدت الملاحقة بين الملاحقين .

ان الفرار كان خطة للهجوم .

لم يبق بعد سوى حامل الرمح ؛

المثخن بالجراح .

(هوراس الثالث يدرك حامل الرمح فيصرعه دون صعوبة)

امحوا تسعة عشر حشداً !

هناك حيث كانت ، لم يبق منها أثر .

فالمخطط الذي وضع بالاعتماد عليها ؛

لم يعد أحد يستطيع تنفيذه .

(تلبس زوجات الاخوة كورياس الثلاث ملابس الأرامل وتمحى الحشود التسعة عشر)

جوقة الهوراسيين - النصر !

ان حيلتك يا حامل السيف ؛

قد فككت الأعداء .

وقوتك طرحتهم أرضاً .

هوراس الثالث - لقد رأيت رامي النبال قادماً

مثقلاً بالأسلاب ،

وحامل الرمح يقترب ،

دون غنيمة .

ورأيت حامل السيف ؛

غير متوّج بالغار .

وعندئذ أدركت انهم سيلقون بأنفسهم معاً عليّ .

ثم رأيت حامل السيف يستدير ؛

كاشفاً عن الأول مثقلاً بالغار ،

والثاني مثقلاً بالغنيمة .

عندئذ فهمت :

إن الذي يتقدم ظاهراً وكأنه يؤلف جيشاً واحداً

كان ثلاثة عند الانطلاق ؛

فيمكن له إذن ان ينقسم من جديد الى ثلاثة .

وإذ ذاك رأيت :

إن الأول كان قوياً ،

والآخر يعرج ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والثالث يجرّ نفسه .
فقلت لنفسي :
مازال الثلاثة يستطيعون القتال ،
ولكن واحداً فقط يستطيع الركض .

جوقة الهوراسيين — قطاع الطرق ردوا على أعقابهم .
لم يكن رامي سهامنا حاذقاً بما فيه الكفاية ؛
ليستخدم الى أقصى حد ؛
أعظم أداة للحركة في العالم .
ولكن حامل رمحنا ،
شكّل ، من نفسه ،
ومن النهر والطوف وقطعة الرمح ؛
قذيفة قوية
وحامل سيفنا ،
عرف كيف يرى أنه بالحركة ؛
يتجزأ ماهو قطعة واحدة .
إن حيلته فككت العدو ،
وقوته صرعته .
إن رامي سهامنا قد أوهن عدوه ،
وحامل رمحنا قد أصابه إصابة مباشرة
وحامل سيفنا ،
أتمّ النصر

— انتهى —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعليمات مسرحية

– ١ –

ان القواد يتلون في نفس الوقت جيوشهم . ويمكن – مستلهمين في ذلك تقليداً من تقاليد المسرح الصيني – الايحاء بعدد الفرق ، باستخدام أعلام صغيرة مفتوحة على شكل مروحة في قاعدة من الخشب يحملها القواد بين اكتافهممتجاوزة ارتفاع الظهر بحيث تبرز من الخلف .

ويجب على الممثلين ان يتنقلوا ببطء معطين انطباعاً مستمراً بأنهم يشعرون بثقل أعلامهم وبامتداد الأرض .

يعبر الممثلون عن إبادة فرقهم ، بأن يسحبوا بحركة عريضة عدداً معينا من الأعلام من جعبتها وبأن يلقوا بها على الأرض .

•

– ٢ –

المنظر يشار اليه على خشبة المسرح ، فالممثلون يرون النهر او الوادي المرسومين على الأرض بنفس الطريقة التي يراهما بها النظارة ، واذا كانت خشبة المسرح منحدرة ، يمكن أن ينصب عليها ديكور على سوية الأرض : حلبة المعركة بكاملها ، وأعشاب تصل الى علو الركبة ، وتلال ... الخ ولكن هذا الديكور يجب الا يثير الوهم (لا يجب ان يكون موازيا مثلاً) بل يجب ان يشبه الخرائط الجغرافية القديمة .

في مشهد (فوائد الرمح السبع) يجب ان تكون الموانع الطبيعية : (الوحدة ، حدة الثلج .. الخ) مشاراً اليها برقع صغيرة مؤطرة مثبتة ببساطة على صقالة .

•

– ٣ –

خطوات الممثلين ووضعية اقدامهم يجب ان تكون منظمة : يتوجب السير كما في حالة تتبع الأثر . وهذه هي الوسيلة الوحيدة لقياس الوقت الذي يمر .

وخلال المعركة الاولى تكون حاملة الشمس بمثابة الساعة ، وفي الثانية خلال (فوائد الرمح السبع) يكون كوريات هو الوقت ، والحوادث يجب ان تمر ببطء .

•

- ٤ -

في معركة النبال ، السهام لاتكون الزامية .

•

- ٥ -

لتمثيل العاصفة الثلجية ينثر على حامل الرمح بعض الحفنات من ورق أبيض .

•

- ٦ -

فيا يختص بالالقاء . يتوقف الصوت عند مطلع كل بيت شعري، ولكن من الواضح ان الوتيرة ينبغي ألايساء اليها في نفس الوقت .

•

- ٧ -

يمكن الاستغناء عن الوتيرة ويكتفى بالطبول ، في أول وهلة ستبدو الطبول رتيبة ولكن ليس لمدى طويل .

•

- ٨ -

تعرض العناوين بطريقة السينما او ترسم على لوحات شفافة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر حديثاً ..

حكايا النورس المهاجر

مجموعة قصصية

حيدر حيدر

□ الانسان في صراعه للارتقاء فوق ذاته

□ الانسان في كفاحه اليومي لتثبيت وجوده القومي

□ من اروع النتاج العربي المعاصر في القصة : أسلوبًا وعمقًا وأصالة

منشورات وزارة الثقافة - دمشق

السعر ٢٠٠ ق.س

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرثية رجل كبير

خليل خوري
— بيروت

عدْ بذاراً نسغاً ، حُبيبة قمحٍ ، عُدْ شعاماً
عد إلى حضنها الحبّ فحضن الأرض أحنى
ترابها بك يغنى
عد إليها جذراً يعود مع النسيانِ ،
يا بولسُ الجديد، ويا صخرةٌ ،يا بيعة النفوس الحيارى
يا طريقاً ، وكرمةً ، وقطافا
ومناراً هدى ، ويهدي ، ونارا
عد إليها ، رائعا كنتَ مثلها ، شفّافا
عد إليها، ألستَ منها؟أما أحببتها؟ كنت خالق النار فيها
في ليالي ضياعها، مطعم النسرِ قلبكَ الرعّافا
إن في الأرض من عطائك معنى
عد إليها تموزها ، عد بذاراً ، ألم تكن أنت يحيى

يوم كانت بنت هيروديا ، ودنيا خطايا
كنت يحيى ، موقفاً ، حكمةً ، هوىً ، ووصايا
هيكلاً،كاهنا، بخوراً، ونوراً في أناجيلها ورمزاً ورؤيا
كنت يحيى،الصوت العميق،أبا ذرٍّ ،تدعُ الرفض تُحيي
الحب فيها ، تحب فيها البرايا
دوبَ تمّه
بلسم الضعف ريثما يتعافى
والتعافي حتى يصير مرايا لضمير الانسان في الصبوة العظمى
إلى البعث ، كنت بحراً ، ضفافا
في دجى المدلجين من غير هدي ، ولسان النيران ، صرخة نقمه
تجلد العار في القلوب السبايا
في الخلايا الموشومة المدلهمّة
يا لسان النيران ، شاهد أن الأرض هذي
أرض العطاء فما تنضب ، يا زيتها ، وينبوعها ، يا صوت ،
يا منحة الزمان المعافى
إن سبعين دورةً أهرقتها الشمس ، كانت دهراً ،
ريادة أمّه
إن سبعين دورةً ا كملتها الشمس قالت :
إن الريادة كامه !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عن العودة والطيور الخرساء

محمد مهران السيد
— القاهرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ — عن العودة :

ماأقسى أن تغلق في وجهي الباب
ياشيخي العارف بالله
وانا منذ التكوين .. مريدك ،
.. أعطيتك مالم أعط السلطان
وتلذذت بكل صنوف الحرمان
لكن الدنيا .. ساعحها الله
والباطن والمكشوف من الاسباب
القت بي خارج دائرة الضوء ..!!
سلبوني نعمة أن اجلس بين يديك
أتلى ألف هلال .. في عينيك
وادور ببخوري السكرى ..

واتيه على الخلصاء ..
لكني ، والحق أقول
لم افتح صدري طيلة أعوام المنفى
لتعشعش فيه الأهواء

•

ياشيخي العارف بالاسرار
لن اتلمص من جرمي ..
.. واسوق الاعذار
يكفي اني مازلت افتش عن أمسي الضائع .. بين الانقاض
يكفي اني .. مازلت ألاقي الاعراض ،
وانا جئتك معتلا ، اجهدني القيء
اكلتني الأملاح ، ومزقني الخوف
جئتك .. لأرجو اكثر من حق الضيف .

٢ ــ عن الطيور الخرساء :

....
.....،
أما الأطيار الذهبيه
خدعتها الريح الساكنة زماناً ..
.. فاستلقت تحتضن الشمس ،
كفت عن ذاك التغريد السيال
وبنت أعشاشاً .. من حجم الحجرات

ما من انثى ، الا وانكمشت تحت جناح الذكر التياه
منقار . . . في منقار
ولينفلق الحاسد مثل نواه
فغداً ان جاء
واسترعته قشور البيض الفارغ ، تزحم كل الطرقات
فستمطره الاشجار المطبقة الاجفان . .
آلاف الاعذار
. . .
ومضت ليلات الروض القمريه
تفرخ أعداداً . . كثار الليمون
شربت كل مياه الامطار
وابتلعت اجران الحنطة ، لم تبق على الازهار ،
كانت تكبر . .
تكبر . .
تكبر ،
حتى حجبت عين الشمس عن الانظار
لكن لما طلب البستاني اليها . .
ان تشدو
كبقية خلق الله . . من الاطيار
لم تطلق الا لغوا ، وثغاءً ، وخوار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعترافات ..

بين يدي الحاكم بأمر الله »

فايز خضور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« حارس الثغور »

عالمي ملحٌ ، وأضلاعي صواري
في صراع الحجرِ
يطفىء الطينُ جحيمَ البشرِ
ويسوح الحُلم في ليل الضواري

* * *

يا أقانيمَ الخطايا

تتموّى العتبَه
في عذابات المرايا .
حين تزني جُزُري
بصير الشرَر
يمسح الموجُ بكفّي تعَبَه .

« عرّاف الولادة »

غابَ في موطن البشاره
نَبيُّك شمّعَ الأرضَ وقتَ المساء .
رمحهُ يُنسل الحضاره
يتصبّى دمَ الشجر
كلّما رنّقتْ ترغلات المطر
جلّدَ الصمتَ والهواء :
موقناً أن للتراب
حاضراً يجهل الغياب ..
عندما فضّ بوّابةَ المغاره
عسْلَجَ الرملَ والضياء
رافضاً خنجرَ الأنبياء
حافراً في ضميرهمْ عباره :
كوّةُ النسل ، بُركةُ الوباء
فاغتمي باليباس ،

يابكاره .
وارفعي رايةَ النعاس
تحت نافورة البكاء . .

« مغنّي الخليفة »

قاحلٌ صدرُ « يوتوبيا »
والهوى
عند بوّابة الدموعْ
جثّةٌ أتننتْ في تخوم البقاءْ
تندف القتلَ فوق العشيّهْ
ترتمي مغزلاً ، بأجرار الدماء :
سكرةً ، صحوةً ، سكرةً بابليّهْ

* * *

جمِّرِ الليل بالرماد
عَبْرَ تهوئة الشموع
وارجمِ الصحوَ بالرقاد
ألمصابيح مطفأه
« ألمصابيح كالثمار
حَجَرٌ يوقظ المساءْ . . »

* * *

أسرجِ الوهمَ يا فارس الرجوعْ .
وجهكَ العريُ والخدرْ :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عالَمٌ جاوزتهُ الغوايةُ ، مرّت به قافلات السهرْ ..
والمسافاتُ في الضلوع
فرسٌ تحمل الشتاء ..

« الشاعر الجوّال »

« متّهَمٌ »
وتحفر الأصابعُ الرماحُ في دمي مصيرَها ..
والأعين الرمليّةُ القرارْ
تجلدني بالشمعْ
تصلبني في خابيات الدمعْ
لأنني أقترف النهارْ
أسكنُ في أعماق عمر النارْ ..
« متّهَمٌ »
لأنني أستكنه الأشياءْ
لأنني حجارةٌ ، والآخرون ماءْ
أحتكر البقاء
أخشى السقوطَ في عبارهْ
وأسرقُ الفصولَ فرحةَ البكاره
« متّهَمٌ »
لأنني دمٌ على طوّافة الرجاءْ ..
لن أخسر الرهانْ

لأنني حوّية الانسان ..
« متّهَمٌ ، متّهَمٌ ، متّهَمٌ .. »

« إحدى الجواري »

غيومُ العتم نشّفها نشيدُ الفجر في الطرقات
وظلّي يرتمي ، ينحلُّ مصلوباً على فزّاعة الرؤيا .
وترحل في شراييني
دروبُ الليل ، ظامئةً لوجهٍ من قرار البحر —
يحمل لعنةَ الدنيا
ويسكب في العيون الفارغات ، الرعبَ والرغبهْ
ليورقَ موسمُ الأشياء :
نشيجَ الفارس المنبوذ ، ضيّع في يبس النخل —
قوسَ الريح والجعبهْ
لمجدِ الرمل والصبّار
لمجد النار ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجد للغة السمحاء

نجم الدين الصالح

للشعر – ليس لغير الشعر – يا قمر يذوب طيفك اشجانا ويستعر
للشعر ... للشفق الزاهي تلونه يد الالوهة ، والاحــلام ، والعبر
ومقلة حلوة الأطياف .... عالقة بالنجم ... تدخر في اهدابها الصور
ترمي زنابقهـــا ريّا على أفقي ويرعش الحسن في ظلي ، فيــأتزر
عذراء : في كل حقل من خمائلها تساقط اللؤلؤ الريان والثمر
عذراء : عانقها (شوقي) وماج بها دنيا من الزهر في صحرائه (عمر)
وصان لبنان مسراها فهل نزلت الا على رأيه الاحــلام والصور
ترفّ بالأخطـــل السامي منابره ويستهـــل بسابا روضه العطر
من نحتفي اليوم اجلالا لموهبـــة عليا : غــاه اليها الجدّ والسهر
ومنهج حافل بالخلق ... حيث مضى ينهلّ من حوله سلساله الخصر
المجد للشعر ... ما اصفى منابعه .. ولو تجنى عليه دهره العكر
والمجد للشعر ... كم راموا مذلّته ... ويبعث النور فيهم قيده النضر

* * *

---

(١) الشاعر سابا زريق الذي نظمت القصيدة تكريماً له .

اكرّم الخلق السامي بشاعره ... ولا اكرم من شطّوا ، ومن عثروا
من حاولوا النيل من ام اللغات ، ومن ... اسمى مفاخر شرقي ... حين يفتخر
يحطّمون اصول النحو في بلد : ... ما كان مبتدأ لولاه ، أو خبر
ويضغون محلّي الكلام ... كما ... لو انهم عجم في القول ، او تتر
لبنان ليس لهم في مذهب قطعت ... فيه الروابط ، وانحلت به الاسر
لبنان للعرب الاحرار ما حدبت ... شمس على ارزه ، أو ضمه سحر
ضفافه بشذى شعبي معطرة ... وأرزه لاغاني امتي وتر
وكل فكر عميل في مجاهره ... يذوي ، ويفضحه الايمان والحذر
يا بدعة عطر الغاوون مولدها ... وزينوا اسرحها . لو يورق الحجر
اساويهم عربيّ في مظاهره ... وبين اثوابه مستعمر أشر
يحطم اللغة الفصحى ، وينشرها ... اسراب طير على اغصانهم زجروا
ويح الفصاحة ، حتى هذه اخذت ... تذوب في عرق اوطاني وتحتضر
يمزق المرجفون الموج مشرقها ... حقدا لعلّ شعاع الفكر ينحسر
ويزرعون حدودا بين احرفنا ... حواجزا في بلاد الفكر تختبر
الحرف : اللغة السمحاء رابطة ... اقوى واعمق مما يرجف النذر
والحرف جسر : عليه كل مبتكر ... وكل ارباب فكر شاهق عبروا
ولا يضر ضفاف النور ان غرقت ... فيها العناكب او غامت بها الصور
المجد للغة السمحاء ... كم نشرت ... فجرا ، وكم عبّ من سلسالها قدر
والمجد للغة السمحاء ... ما سبقت ... اذن الى الشاطىء المجهول ، او نظر
فكم ادارت على الدنيا شمائلها ... كما يدار الندى ، او تنثر الدرر
وكم سقت فجر شعبي من سلافتها ... ما لم يذق مثله صبح ولا زهر

ثلاثة فرنكات

عبد العزيز هلال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وضعوا أمتعتهم عند أصل شجرة السفرجل الوحيدة ، وهتف طليعتهم :

ـ الله ! هو ذا جمال كامل .. خضرة ، وماء .. ووجهان حسنان بدلا من واحد !

منتهياً بنظرة المبهور الى السيدتين وهو يلفظ عبارته الاخيرة ؛ ثم رجع يتأمل المكان بنظرة أكثر فضولا ... انه أجمل زاوية يمكن الركون اليها في هذا البستان ، ان لم يكن امتع مكان من القرية كلها ... زاوية مظللة بأشجار التين الضخمة من جانبين ، تنفتح على حقول الخضراوات

والبقول ، وهي تحاذي النهر الصغير المتعرج ، الذي ينبع من قرية « رأس العـــين » ويصب في البحيرة ، على بعد مئة متر من هذا المكان .

تنفست السيدتان الصعداء ، بعدان تخلصتا من حمليهما ، وراحتا تجيلان البصرحولهما بدون تأثر ، حتى التقت عينا سنية بالباذنجان المتدلي من نبتاته بغزارة تغري بالمبادرة مثل مسألة جاهزة الحل ، فهتفت بصوت ذي خنة يشبه صوت يهودية :

— يا الله ! هذا باذنجان جاهز القطاف .

وقد لمعت عيناها بفرحة إنتصار وهي تلتفت الى زوجها وصفي الذي قال :

— نعم ، وجدت بغيتك .

ولكن سنية تألقت مثل مصباح حظي بمزيد من الشحنة الكهربائية ، فبدتأروع حسناً ، بجسدها الطويل المكتنز ، شديد الاثارة ، ووجها الذي يذكر وصفي دائمـاً بلوحات فناني إيطاليا في عصر النهضة . وارتفع صوت السيدة الأخرى ، ماجدة ، ينم عن نشوة :

— بل انظري الى التين ، فوقك .. كم يبدو لذيذا !

قال زوجها بلهجة شامية :

— هذا هو كل ما يثير إهتمامك واهتمام سنية .

وفي الحقيقة كانت ماجدة تشبه سنية الى حد بعيد فيما وراء ملامحها . ولعل هذا هو أساس هذه الصداقة المتينة التي حافظتا عليها بحرص مدة طويلة من الزمن قبل الزواج وبعده ، رغم فارق السن بينهما . كانت ماجدة نحيفة ، سمراء ، يظهر فقر الدم جلياً في وجهها الذي يجمع بين اصلين مختلفين : من عرب المغرب العربي ومن الأتراك ، فيصورة دمشقية جديدة ، وكل هذا يناقض صورة سنية .

بدأ الجميع بتهيئة وسائل الراحة ، قبل أن يجلسوا . وفي هذا الحين صرخت سنية بصوت حاد مذعور :

— فوزي ، ارجع عن الماء .

فلم يطعها الطفل ، ابن الرابعة ، الذي يبدو نسخة مطابقة لأمه . بل ظل يمارس القاء الأحجار الى الماء في حمية تكشف عن حيوية غريبة . غمغمت متشكية :

— وصفي لا ينتبه الى ابنه ، مهارته محصورة بانجاب المصائب لي .

واذ انحنت — بعد ذلك — على احدى الحقيبتين تفتحها ، ارتفع الفستان القصير

عن فخذين بلون الحليب . لكن الهواء الخبيث لم يقتنع بذلك ، فاهتبل الفرصة ليرفع ذيل الفستان بقـدر ما اسعفته قوته الضعيفة . وفي الحال بدا هشام عصبياً وهو يرى زوجته تراقبه ، وجعل يتلفت حوله . شاهد ثلاثة من صبية القرية يقفون بجانب جذع شجرة ، على بعد خطوات ، يحدقون اليهم بأعين وسّع حدقاتها فضول وقلق . استدار نحوهم يدرسهم . عندئذ رآهم يذعرون ويتأهبون للهرب ، وقد تركزت نظراتهم ، التي ازدادت قلقاً ، على وجهه . ابتسم لهم حتى اطمأنوا اليه ، ثم اقترب منهم ، مرحباً بهم ، محاولا تقليد لهجتهم الريفية ، وسألهم :

— ما أسماؤكم ؟

تبادل الثلاثة نظرات تشاور . قال أكبرهم :

— انا اسمي علي .

ربت السيد الدمشقي على كتف الصغير قائلاً :

— وأنت ؟

فطأطأ رأسه ، مخفياً عينيه في كثة من الاعشاب تشارك الشجرة منبتها . نبر الاوسط نبرة تتردد بين القوة وعدم الثقة :

— اسمه عبد الكريم . أنا اسمي منصور .

— عظيم ! انت منصور فعلاً . إنا أحب الشجعان يا منصور . قل لي ، كم عمرك ؟

وأحس منصور ان الرجل الغريب غدر به . عمري ؟ تلك احجية . ونظر الى أخيه الاكبر ، ثم حول عينيه الى وجه السيد ... وجه وسيم ، يمكنه القول ، يبتسم ابتسامة مؤنسة ، خالية من أي مكر . حسناً ، حتى في هذه الحالة ، لا أعرف الجواب

قال السيد :

— دعني .. دعوني أخمن أعماركم جميعاً ... علي في العاشرة ، هه ؟ وأنت في الثامنة وعبد الكريم في السادسة . هل حزرت ؟

لم يجبه أحد . كانوا يتمتعون بلذة من نوع رفيـع ، فهذا سيد من دمشق يتحدث اليهم بمودة وتواضع . قال لهم :

— طيب ، أخبروني الآن ..

قاطعه صوت ماجدة :

— هشام ! ماذا تفعل هناك ، مع تلك الاشياء القذرة ، بدل أن تقوم بعمل مفيد ؟ أم تظن أننا يجب ان نفعل كل شيء بينما أنت تلهو ؟

والتفتت الى رفيقتها ، متابعة بدون توقف :

– يا أختي ، لن أرى رجلا في مثل برودته !

وهمت سنية بالقول : وي ! لوعرفت وصفي ... ولكنها أمسكت ، خوفا من اغضابه في هذه اللحظات وهو يقطف أنضج التينات من الاغصان المتدلية فوقهم ويلقمها لابنه والسيدتين ... وكانت سنية تجد لذة التين الناضج شيئاً لايعوض .

تحول هشام عن الاطفال الى رفيقته يتأملها ... تحقق انسجام كامل هناك ، بفضل هذه التينات الشهية . ولكنه لم يفكر بالانضمام اليهم . هذا الشعور بالحياة لم يحدث في نفسه سوى تلك الحكة الصغيرة التي تشبه التآكل . وهو عندما يخطر له أنه مارافقهم وتعنّى الرحلة الا ليمتع نفسه فان إبتسامة خبيثة ، ماكرة ، ترف على صرامة وجهه تسخر منه وتخدع الآخرين ، وخاصة زوجته . ما الذي لديه ليفعله اذن ؟ انها لم تقصد الا ابعاده عن « تلك الاشياء القذرة » . حسنا ، لديه على الاقل سيكارة يشعلها ويدخنها، ليس ماهو أكثر فائدة من هذا العمل الآن ، واسند ظهره الى شجرة ومد ساقيه نحو الماء ، وراقب سمكات تتحرك ببطء أو تجمد لحظات طويلة .

وفجأة أقلع وصفي عن عمله . مرى اليه الملل من هذه الحركات بين الاغصان والافواه . قال :

– أظن هذا يكفي

والتحق بهشام . ساوره حسد لجوج ، وقد فكر : ان هذا الرجل يعرف كيف يسلك مع النساء . وسحقه احساس عابر بفداحة ماوصل اليه من ضعف حيال النساء ، حيال فخذي سنية البضين الممتلئين . وبينما كانت هي تزداد امتلاء وبياضا ، بل توردا ، حتى أوشكت أن تكون بدينة ، كان هو ، على النقيض ، ينحف ويشحب .

جلس مثل جلسة الآخر ، وقال :

– والله ماقصرت . أحسن مايفعله الواحد .

كانت أغنية قصيرة المقاطع ، مكثفة الايقاع الى درجة الاختزال ، يبوح بهـــا الماء الرقراق تملأ أذني هشام . لم يكن ينتظر أكثر من هذا في الحقيقة .

لكن كلمات وصفي نسفت كل شيء دفعة واحدة .. لشدة مابدت له غبية وعامية . قال له بامتعاض :

– اذا أردت الحق ليس هذا هو الأحسن . انه الأسوأ .

– كيف ؟ انهن لايسببن الا المتاعب ووجع الرأس ، بقلة تفكيرهن هذه ، الافضل هو الابتعاد عنهن .

على ان هشاما قال له :

ـ أتذهب الى البحيرة ؟ أريد أن أسبح .

وكانت ماجدة تقول :

ـ أترين ؟ بدأ بالتآمر .

فقال وصفي :

ـ لاياسيدتي . اطمئني ، نريد الذهاب الى البحيرة .

قالت سنية :

ـ اذن خذ إبنك معك .

في الوقت نفسه قالت ماجدة :

ـ ماذا ستفعلان هناك ؟

انطلق هشام يغادر المكان دون اكتراث ، فتبعه وصفي مترددا ، تلاحقه صرخات زوجته ، صرخات خالية من أي مبرر . وهي بالاضافة غير مبالية رغم مايبدو عليها من نزق . مجرد صرخات مبتذلة . وقذف الطفل بنفسه أرضاً على ظهره ، كأن قوة خفية جبارة قد فعلت هذا عمداً ، واصطنع ولولة وبكاء مائعين وهو يرفس التربة بقدميه . وقالت سنية :

ـ هؤلاء م الرجال ! لن تجدي أمكر منهم .

ـ قالت ماجدة وهي تضحك بنعومة ، ففي ذلك تسلية على كل حال :

ـ خاصة هشام ! انت لايمكنك التصور كم هو ماكر ! تحسبينه حقـا يشغل بالاشجار والبحيرات وغيرها مما يسميه « الجمال » ؟

ـ على كل حال ثمة فرق بين زوجك وزوجي . هشام رجل تستطيعين التفاهم معه ، فيتيح لك فرصة التنفس ...

قاطعتها :

ـ لا ... هذا وهم يسيطر على كل من لايعرفه جيدا . انه ذكي يعرف كيف يخدع الناس عما في داخله . هذه ميزته .

ـ لوعشت مع وصفي بضعة أيام ..

ولكن ماجدة استمرت قائلة :

ـ الآن مثلا .. أتظنينه ذهب ليشاهد البحيرة أو ليسبح فعلا ؟ ، لا ، أراهنك على انه ذهب يبحث عن النساء في المقصف . لاحظيه كلما مرت امرأة ...

جعلت الحماسة تلهب الكلمات في حلق ماجدة فلم تعد تستطيع ابقاءها هناك ، راحت تبصقها تباعا ، وهي تستبدلها بحبات الفستق والقضامة والبزر الاسود . كانت راحة عميقة تتغلغل في خلايا جسدها وعقلها الان ، رغم لهجتها الباكية التي لم تكن ضرورية في الحقيقة ، غير ان كلاما مثل هذا ، أليس هو شكوى ؟ حسنا .. كلام مثله يجب ان يكون في لهجة مؤسية .

واستسلمت سنية للراحة نفسها ، وللمؤالح نفسها أيضاً . وكانت الاشياء جميعاً تبتعد الان عن هذا الركن الصغير من العالم ، مساحة البساط الذي تسترخيان فوقه ، حتى أصبح من الصعب تماما القول بأنهما هنا ، في نهاية رحلة ساعتين من دمشق ، بسيارة تكسي مريعة .

امرأتان وادعتان ، رغم ذلك ، وديعتان ، جميلتان ، لطيفتان كما ينبغي لامرأتين بورجوازيتي التفكير لا الطبقة ، ان تكونا .

وراح فوزي ينتزع الديدان من طين الشاطىء ويلقيها الى السمك ، ولم يكن ثمة من يراقبه الان ، سوى هؤلاء الصبية الثلاثة الذين لم يثيروا في نفسه الا الكبرياء التابعة من احساس ملموس بأنهم من عالم حقير أدنى .. فما عليه اذن الا أن يبرهن لهنّ — بالمزيد من الحركة — على تمايزه . وكان الصبية يتفرجون عليه ، لم يكونوا يريدون أكثر من أن يتفرجوا على هذه الكائنات الغريبة ، التي يحسون بأنهم لايستطيعون التعاطف معها ، رغم رغبتهم في هذا التعاطف ، رغبة ليست ملحة ولا تحمل طابعاً معينا ، مجرد رغبة ، رغبة طبيعية تصدر عن الذات .

صرخت سنية بأعلى صوتها ، كمن فوجئت بوحش رهيب :

— فوزي !

وقفزت نحوه . والتفتت ماجدة مذعورة . كان الطفل مغروزاً في الطين النتن على حافة الماء حتى منتصف ساقيه ، خلصته امه وهي تغمغم بدعائين أو ثلاثة ، تكررها مرات ومرات كأنها فقدت القدرة على كل كلام آخر ، ولم يكن الصمت ممكنا بطبيعة الحال :

— يبعث لك الحمى ، الهي يخلصني منك يافوزي ، قطيعة تقطع الاولاد وتقطع هذه العيشة .

وضحكت ماجدة ، وهي تحس بالجنين يتحرك حركة احتجاج خفيفة داخل بطنها . وفي هذه اللحظة تنبهت الى ان الفلاحين الصغار الثلاثة لايزالون هنا . وكان هؤلاء

يراقبون المشهد ، وقد أثارهم الغاية ، بصمت وسكون ، وان لاحت بسمة غامضة صارمة على ثغر منصور . لاحظتهم ماجدة بتقبــه . انهم في مكانهم ذاته ، وقوف لايتحركون ، وكأنهم مثبتون هناك بقوة ساحرة . وأحست بأنها تتزعزع ، وتشارف على مفارقة الشعور بالطمأنينة . يالهم من قرود ثلاثة تطورت توا الى مرحلة الانسان ! لعنت هذه الخاطرة في ذهنها مع أنها تؤمن بالله ايماناً خالصاً ، ولا تكن لدارون الا العداء والاستنكار . ولفت نظرها مايسمى أثواباً على اجسامهم .. أثواب طويلة توشك أن تلامس اقدامهم ، مهلهلة ، لايفصلها عن اجسادهم أي نوع من الثياب الأخرى ، بدا لها هذا من الثغرات التي يطل منها لحمهم الاسمر الجاف . وكان رأس منصور — بصورة خاصة — اكثر ما استرعى انتباهها بشدة ، لاحظته بتعجب وتقزز ، وتطير أيضاً — لأنها حامل — فقرصت بطنها ... انه لايشبه رأس أي انسان ، حتى لو آمنت بنظرية القرود تلك ، مثل بيضتين كبيرتين ، احداهما تقف عمودية على رقبته الهزيلة ، والاخرى ملتصقة بها أفقياً ، يكسوهما جلد واحد حليق الشعر . على كل حال — فكرت لتنهي ذلك كله — فيما عدا هذه الملاحظة الخاصة ، فان الثلاثة لايختلفون عن غيرهم من أبناء قرى هذه المنطقة . وأمالت رأسها بعيداً عنهم ، وأغمضت عينيها بعــد أن رمقت ، بنظرة استطلاع قصيرة ، سنية التي كانت تتطلع اليها من غير أن تكف عن دعائها الكاذب أن يخلصها الله من فوزي الذي تعبده قدر عبادتها الله نفسه . غير أن الاطفال انفسهم لم يكفوا عن نظرتهم المستطيلة تلك .. بدهشة بدائية ، أو على الأقل فطرية ، نظرتهم الدائمة نفسها كلما عرض لهم منظر غريب — مدني بالتحديد — ينظرون من غير أن يحملوا في رؤوسهم الحليقة هذه أية فكرة عما يريدون . ولكن هل يريدون أي شيء أصلاً ؟ لقد ولدوا في القسوة والخشونة والعري والتراب ، حتى ان ذلك كله جبل فيهم ، واصبحت كل رغبة او ارادة تتجاوز الخبز خروجاً على الناموس ، شيئاً خارقاً وغير مستحب ، غير مشروع ، يمكن القول كفراً بنعمة الله وزندقة . وفي النهـــاية فان قضية الخبز في الحقيقة عادية ، يومية جداً ، لاتثير جدالاً رغم أنها تبدأ احياناً بالسؤال — فضلاً عن أن التفكير فيها وحلها من مهمة الآباء . بل ان الآباء ها هنا ليست لديهم اية مهمة اخرى . حسناً ، ما الذي تراه يمكن ان يشغل مثل هذه « القرود الثلاثة » ؟ لايعلم الا الله . انهم بصمتهم وسكونهم الى حد الجمود ، بوجوههـــم الصخرية ونظراتهم التي تشبه نظرات

فيلسوف في ذهول زاهد ، نماذج مصغرة لأبي الهول وهو يرقب السائحين بعينين حجريتين يلؤهما رمل الصحراء .. صحراء المكان الممدودة وصحراء الزمن السرمدية .

انتهت السيدة من تنظيف طفلها وحذائه ، وأعطته عنقود عنب ، جلس يمضغ حباته ويمصمصها ثم يلفظها وهو ينظر الى الفلاحين الصغار نظرة حذر ، تفتقر للبراءة .

واسترخت أمه في كسل جنب رفيقتها التي كانت ممددة . وحين همت هذه بمتابعة الحديث بشأن زوجها ، اكتشفت – لأول مرة – رخاء النسيم ، فقالت :

– أترين ما أحلى هذه النسمات . انها تجلب النعاس .

وتثاءبت، متادية، مؤكدة رأيها . غير أن سنية لاحظت ، بخنتها التي تفضح صوتها:

– هؤلاء الفلاحون يثيرون القرف .

وسُرّي عن ماجدة . انصبت كلمات رفيقتها هذه في أذنيها كجرعة ماء بارد في حلق ظمآن . منذ لحظات قليلة كانت تفكر بهذه الحماقة التي حملتهم من دمشق الى هذا المكان .. أليست حماقة أن تترك مسرات دمشق في مقاهيها الأنيقة وسينماتها لتأتي الى هنا وتتمدد في هذه الزاوية الهادئة ، المنفية ، من العالم ؟ أهذه حياة ، بدون صخب ولا ... والانكر من هذا أن السيد هشام ، هذا الرجل العجيب الذي عجزت عن فهمه ، لم يرض بالقعود في المقصف ، قال انه لم يتمن هذا العناء ويقم برحلة طويلة ليمارس الشيء نفسه : « أنا ما ركضت الا من اجل ان اجد شيئاً جديداً ، من اجل تغيير الجو . » كلام لا يقل غرابة عن صاحبه ! ولكن انظري اليه الآن ، ما أن جلسنا هنا حتى هرع الى المقصف وهو يتظاهر بما لا أدري . وقالت لرفيقتها :

– ويلي ! لو قدر لي العيش بينهم ثلاثة أيام لأصبت بالجنون ، فكيف ثلاثة أشهر كما فعلت ابنة عمي نوال ؟ تدرين ؟ يقال ان هذه المنطقة مملوءة بالعقارب والأفاعي . وهذا عدا الفئران والجرذان وما لا أدري . أنا أموت رعبا ان رأيت – مجرد رؤية – فأراً أو جرذاً ، فما بالك بأفعى !

وهمّ منصور باخبارها عما في النهر من حيات كبيرة – عالج الفكرة بصعوبة ... هل يخبرها أم لا ؟ كيف يخبرها ؟ أيقول هكذا ...؟ ولكن لماذا يخبرها ؟ اذ ذاك رأى السيدين مقبلين من صوب البحيرة .

اعتدلت ماجدة جالسة ، وهي تبادرهما بسؤال عنهما أثناء غيابهما :

– ها ؟ أيوجد شيء « جميل » هناك ؟

ابتسم هشام – نعم جاء معتدل المزاج – قائلاً بلهجة مسرحية :

– بالطبع ياعزيزتي ، هناك أكثر من شيء واحد .
قالت تمتحنه أكثر مما هي مكذبة :
– لاباوح عليك .
ولكن سنية قطعت عليها الطريق عندما ثبرت بانفعال :
– قلت لك خذه معك ، والله تكاد تجنني انت وابنك ، لقد غرز نفسه في الوحل حتى رأسه .
كان صوتها يغرغر مثل صوت أوزة . لاحظ وصفي بانزعاج :
– المنديل منحسر عن شعرك ، ارفعيه وثبتيه جيدا .
فبربرت متذمرة ، تشتم المنديل وهي ترفعه وتحكم ربطه تحت ذقنها . وكان هشام قد لاحظ عن غير قصد انحسار الثوب عن فخذيها الزاهيين ، كما كان الان في وقفتـــه، وهي جالسة ، يستطيع رؤية ثدييها الكبيرين بأ كملها . وفكر في شيء من برود : منظر آمر يصيب الرجل بالدوار ويبعث فيه حمى استوائية ، من غير ان يخطر له أبداً أن مثل هذا الحسن ، هذا الجسد المذهل بالأحرى ، لايتعدى ان يكون تمثالا من القطن الابيض متقن الصنع .. في احسن حال ! انه يكرهها !
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com
وتساءل وصفي متضاحكاً :
– مالك تبربرين مثل المجانين .
قالت وهي تكز على الحروف ، تعضها :
– أقول .. هذا شيء لايفوتك : « المنديل منحسر عن شعرك » !
والتفتت الى الاخرين :
– أترون ! احدثه عن ابنه فلا يلتفت إلا للمنديل . إننا في العصر الحجري، مانزال .
علق هشام ، وهو يطوح بشحف بازلتي فوق وجه الماء :
– في العصر الحجري ، ياسيدتي ، كان الناس عراة .. عراة تماما .
ضحكوا جميعاً – ماعداه – وقالت ماجده :
– هكذا ، خلّ روحك خفيفة ، يمل لي هذا الفم عندما يجود بغير العبوس .
وقال وصفي :
– اسمعي وتعلمي . هكذا تخاطب الزوجة زوجها .

– سأخاطبك هكذا عندما تستأهل هذا .

– اعلمي اذن ياسيدتي أنني لا أعمل عندك مربياً للاطفال .

تذكر وصفي ما اعتزمه وهشام من أمر ، فانصرف عن المحاورة التي قد تطول الى الابد من غير جدوى الى ابناء البستاني ، كانوا ثابتين في مكانهم بعد ، يتفرجون بدون ملل . سألهم :

– أيوجد دكان قريب من هنا ؟

لم يجبه احد .. مجرد عيون دكناء تحملق فيه ، بغير قليل من حياد ، كأنهم حيال رجل اجنبي يخاطبهم بلغة اجنبية . تقدم هشام :

– منصور .. انت من يعتمد عليه . نريد سنارة ، لصيد السمك . سنـــارة ، أتعرف ماهي السنارة ؟

أجاب الصبي باندفاع مفاجيء :

– نعم ، سنارة . سأجلب لكم واحدة .

وأخرج وصفي بضعة فرنكات :

– كم ثمنها ؟

– فرنكان اثنان ، وفرنك للخيط .

– طيب ، خذ .. هذه ثلاثة فرنكات . عندما ترجع سأعطيك فرنكاً مكافأة . أسرع .

وانطلق منصور في الحال ، يعدو خلال الحقل ، وهو يلقي بجسمه وساقيه وذراعيه معاً في الهواء ، كان يشبه ارنباً مبتور الاذنين .

اثناء ذلك فكرت سنيه : أيكون خبيثاً حقاً كما قالت ماجدة ؟ كثيراً ماراودتها فكرة ، أقلقتها احياناً ، مجملها ان هذا الرجل العابس ينطوي على قابلية التلاؤم معها ، ولكنها لم تكن تجرؤ مرة واحدة على اطالة التفكير على هذا النحو . تكتفي بالتحسر . انها القسمة العجيبة ، ولا يمكن رد قضاء الله . وفي الوقت نفسه كانت ماجدة تفكر بأن سنية غير محظوظة . كان يجب ان تتزوج من رجل يقدر جمالها وبالرغم من أن زوجها هي ينعت رفيقتها دائماً بالبقرة البيضاء ، فان هذا الجمال كان يغيظ ماجدة .. انها لاتصدق ان هشاماً يكرهها ولا يشمئز الارتقاء عليها . لكنه خبثه الذي يجعله يقلب الامور رأساً على عقب امام الاخرين ليظهر لهم الاشياء على غير حقيقتها ، مجرد تعمية . الامر واضح :

انها لا تصدق ان ثمة جمالاً في الدنيا يضاهي هذا الجمال ، ولطالما ثارت غيرتها إزاءه حتى تذهب الى التفكير بقطع كل علاقة لها بها خوفاً على زوجها ، من غير ان تستطيع اتخاذ قرار فعلي بهذا .

بعد غياب منصور ارتبك أخواه ، احسا بشيء يشبه الذعر من وضعها ، وخطر لها أنه قد آن أوان التحرك ، بعيدا ، وقد يكونان على كل حال قد ملا البقاء هنا ، او أنها يئسا من رؤية شيء غير عادي . . . انهم يتشابهون اولئك الدمشقيون ، بلباسهم الافرنجي ، بكلامهم المطوط ، بتأففهم من الفلاحين ، بغربتهم . . . نعم ، هم أغراب تماماً ، كأنهم من عالم آخر ، من طينة اخرى . وكأنهما مربوطان بخيط أراجوز ، تحركا في وقت واحد ، قبل اللحظة التي صاحت ستية فيها ، تأمر زوجها :

— ابعد هؤلاء القذرين من هنا . . حتى تأخذهم وتأخذ قذارتهم معهم .

ضحكت ماجدة ضحكة كسلى ، هشة . وأراد هشام ان يقول لها ان بذاءة سنية شيء لا يدعو الى الضحك . ولكنه لم يفعل سوى ان يفرصها بنظرة ساهمة ، ويائسة .

وتلفتت سنية تكشف المكان حولها بنظرة فاحصة . اصبحت الان بلا رقيب ، تستطيع ان تفعل ما تريد فهبت الى ثأر السفرجل الفجة تقطف منها كل كبيرة قريبة من يدها ، صامة أذنيها عن ردع زوجها وتحذيره من رؤية اصحاب البستان لها ، غير مبالية بسخطه . ثم ما ملك من الامر إلا ان يسكت وهو يحس بالصغار ، خاصة بوجود هشام الذي كان يحسه دائما ذا وطء ثقيل عليه . لولاه لهان الامر . وساوره ضيق من حضور هذا الرجل المتزمت الذي لايسامح ولا ينفك عن جعل الحبة قبة .

أما هشام فأحس بأن سنيه تسرقه هو ، تسرق أمنه وراحته ، هو الهارب من صخب دمشق ، من كآبتها ، لنهار واحد . بل إن ذلك بدا له تحديا تعيسا لضميره . احتج قائلاً :

— هذه النزهة تتحول الى محنة كما أرى .

صح ما توقعه وصفي ، فابتسم مداريا الحرج . وقال هشام مستكملا :

— جئنا نروح عن انفسنا . اننا لم نركب مئة وثلاثين كيلو مترا من اجل ان نسرق الفلاحين رزقهم ، حرام !

قالت سنيه ، ضاحكة :

— ما دخلك انت ؟ فظاعة !

قال لزوجته :

— ما رأيك بجولة الى اعلى النهر ؟ اريد مشاهدة القرية والمطحنة المائية هناك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قالت زوجته دون ان تدرك أزمته :

— اذهب انت . انا مرتاحة هكذا باستلقائي هنا . . . هذا كل ما اريد .

— الكسل !

— الكسل ، اذا شئت تسميته .

وأطال نظرة حائرة اليها . . . ثم قال بصوت اكثر هدوءاً ، من ذلك النوع الذي يصيب سجيناً في زنزانة ، أو بحاراً مضغوطاً في اسطوانة :

— انظري حولك ، الا تثير فيك هذه المناظر اي احساس ؟ الا تنفعلين بهذا الجمال ؟

— جمال ؟

وانتفضت تضحك من اعماقها واذ تمالكت نفسها قليلا نبرت من خلال ضحكها :

— حتى الفلاحات ؟

— من الذي تحدث عن الفلاحات ؟ هذا ، هذا ، انظري حولك ، قلت : الطبيعة كان كلامي واضحاً .

تلك كانت العاصفة . وتدخل وصفي في الحال :

— دعها ، سنذهب معاً .

وابتعدا .

كانت الشمس تصعد الى القمة الان بهدوء مجيد ؛ تملكه على هذا الكون ، تسيطر عليه دون ضجة ولا افتعال ، تمنحه تلك الروح والحركة والبهاء .

تنهد هشام ، ثم قال بمرارة :

— كان يجب الا اتزوج . انك تشعرها الحاجة الملحة اليك ، حتى تعتقد انك لاتستطيع الاستغناء عنها ، لاتستطيع اعطاءها ظهرك . وبعد ذلك ... انظر ... مجرد تفاهة . مخازن المدينة ، وزحمة الشوارع ، والأضواء ... ذلك هو مايعطي الحياة قيمة في نظرهن .

قال وصفي ، بلهجة اعتذار :

— زوجتك احسن من زوجتي ، على كل حال . سنيه لم تزل ملك امها وابيها حتى الان . انهما مسيطران عليها ، على روحها ، بصورة كاملة . يخيل لي ان عقلها تجمد منذ ولدت . فهي تفكر بعقل امها ، مثلما هي تحبا بروح ابيها . كم يشقيني ذلك !

وشاهدا رجلين مختبئين في ركن مظلل من الشاطيء ، خوفاً من اعين الشرطة ، وبيد كل منهما قصبة طويلة يتدلى منها خيط في الماء . حياهما هشام وسألهما :

ـ هل اصطدتما شيئا ؟

ـ قال احدهما :

ـ لم نوفق بعد .. بضع سمكات صغيرة جداً .

ـ من اين اتيتما بالسنارات ؟

ـ من البلدة .

ألا يبيعون سنارات هنا ، في القرية ؟

ـ لا .

فنظر الى وصفي ضاحكا ، وقال هذا مبتسماً :

ـ خدعنا منصورك ، ابن الحرام .

وحين رجعا الى مكانها ، اقترحت ماجده ان يباشرا بتدبير الغداء . كان الجوع قد تمكن منها ، أحست به احساساً رائعاً لم تعرفه في البيت ـ هذه اول مرة تغادر فيها دمشق .

تكفل وصفي بالبحث عن البستاني ليشتري تشكيلة من الخضروات . وظل هشام جالساً على جذع شجرة مرمي على حافة النهر ، يراقب مجموعة من السمك الصغير ، ويعاني شعوراً فاجعاً من أن زوجته ـ التي احبها بصدق قبل الزواج ـ بعيدة عنه كل البعد . أما ماجدة فلا تزال مستلقية في مكانها ثابتة وهي مفتوحة العينين ، في حين قامت سنية بالتمهيد لعملية الطهو ، وكان طفلها يلهو بالاغصان الجافة المتناثرة على الارض ، وبالتراب وكل ما يقع تحت يديه ، أصبح الآن قذراً اكثر من ابن اي فلاح .

سمع هشام صوت من يلقي السلام عليه ، فالتفت خلفه .. إذا برجل قروي ، اقرب الى القصر ، صلب الملامح ، يقول له بصوت جامد النبرة ، مثل ضربات معول في تربة جافة ، ينطوي على غضب عاجز :

ـ هذه السفرجلة لا نملك غيرها . نحن لا نسمح . أعني .. يجب أن نحافظ عليها ، نحن نربح أقل مما يلزمنا ـ الحمد لله ، نحن نحصل على الخبز ، وهذا هو المهم . اذا جردت السيدة هذه الشجرة من ثمارها جردتنا من جزء من تحويشة العمر . أتفهم يا سيد ؟ يمكن لهذا الجزء أن يبدو تافهاً في نظركم ، لكنه بالنسبة لنا ثروة ، أتفهم يا سيد ، اذا كنتم . من غير مؤاخذة ...

قاطعه هشام بعصبية ، شعر بالخزي امام هذا الرجل ، النقي كل هذا النقاء ، هذا الفلاح الذي شققه الارهاق والشقاء ثم يقول : الحمد لله ، كان الخزي ينصب فوق رأسه فيغرقه حتى الروح .. قاطعه بعصبية :

— أفهم ، افهم .

ثم حاول أن يلطف صوته ، وهو يتحمل العذاب بصعوبة :

— طيب ، يا أخي ، لن تمتد يدك اليها بعد . أعدك .

وعانى مهانة جديدة . كان كاذبا ، فلو قامت سنية باغارة ثانية ، في هذه اللحظة بالذات ، ما عساه يستطيع معها ؟ واجتاحه غضب حقود . أراد أن يقوم ليصفعها ، ليمرغ هذا البهاء الخلّب في تراب هذا الحقل ، انه حاقد عليها وعلى ابويها ايضاً .

وكان الفلاح مستمراً في شرح حالته ، وقد اصبح هـــادئاً الآن ، مثل خرير هذا النهر :

— هلكت في توفير شيء من النقود لاستئجار هذه القطعة الصغيرة من البستان، لمدة ثلاث سنوات.. . انها ،كما تراها ،لا تغل كفاية اسرة ،ولو اسرة صغيرة ،ثلاثة حقول صغيرة للباذنجان والكوسا والبندورة ، أنت ترى : حقولاً صغيرة . أما شجرات التين هذه فلا نكاد نستفيد منها نصف ثمارها ،لعجزنا عن حمايتها من الزوار ومن ابناء القرية . حالتنا صعبة ، اذا اردت الحقيقة ، أتفهم يا سيد ؟ صعبة .

نبر هشام فارغ الصبر :

— قلت لك افهم يا رجل ، افهم جيداً .

صرخت سنية :

— على كل حال ، ابنك منصور الكلب ، سرقنا ، أخذ منا ثلاثة فرنكات .

— ليس لي ابن اسمه منصور ياسيدة ، لا أعرفه .

— اذهب ، حتى تأخذك ، ما اكذبك !

— سامحك الله يا سيدة .

وانصرف . بصقت السيدة جانباً وهي تغمغم :

— على جنسك النجس .

ادرك هشام انه يحتاج الى حركة عنيفة في هذه اللحظة ، حركة تسحق شيئاً ما ، صرصاراً ، أفعى ، ربمـــا رأس سنية . لكنه لم يزدد الا استسلاماً لسكونيته وفورانه الداخلي الذي يفتته . اكتفى بنظرة مروعة ألقاها على سنية وهي تفعل ذلك ، ثم طأطأ رأسه ارضاً ، دافناً عينيه في التربة المعشبة .

ولما جاء وصفي، يحمل بعض الاشياء ، أخبرهم بأنه رأى الصبيين اللذين كانا صحبة منصور فأنكرا ان يكون منصور اخاهما ، قالا أنه من القرية ولم يوضحا هويته .

زعقت الأوزة :

- وباء يأخذهم ، انهم لصوص ، هؤلاء الفلاحون ، يعيشون ليسرقوا . الحق عليك انت .. فلاح صغير خدعك وباصك ، أيها المسكين .

فضحك ، وهو يفرغ حمله امامها ، قائلاً :

- أعوذ بالله من هذه المرأة .

واذ رأت امامها كوسا وبندورة فقط ، قالت :

- نريد باذنجان أيضاً .

- طيب ، لا ترعقي ، سأرى صاحب البستان .

- لمـــاذا ؟

- لأشتري منه باذنجان .

- تشتري منه ؟ اتعني انك اشتريت الكوسا والبندورة اذن ؟

- طبعاً ، ماذا اذن ؟

- اسمعوا يا جماعة الى هذا التخريف . أشياء مبذولة هنا ، تحت اليد ، أمام نظره ، ويشتريها !

- يا امرأة أتريدين بهدلتنا ؟

- بهدلة ؟ لماذا ؟ خسئوا ، انهم مجرد فلاحين .

- ولو .. انهم يعيشون من هذه الأشياء .

- نهضت بحمية ، متناولة المزودة الجلدية من يده :

- أليك عني ، ما ابرد دمك !

علقت ماجدة برخاوة :

- كأنه هشام .

وانطلقت سنية باتجاه حقل الباذنجان قائلة :

- والله نكتة ! يريد ان يحاضر !

ولم يستطع وصفي فعل شيء سوى صيحته العقيمة :

- سنية ، ارجعي يا سنية !

كان هشام ، من مكانه على جذع الشجرة المهمل ، يراقب بصمت وغضبه يتآكله . وحين سمع زوجته تقول :

- م سرقوا نقودنا ، وبمقابلها يجب ان نأخذ ما يحلو لنا . ما الذي يحدث غير هذا؟

انفجر صارخاً :

– اخرسي !

وتوجهت اليه نظرات ماجدة ووصفي والطفل بدهشة ، حتى سنية التي شرعت تقطف الباذنجان توقفت تستطلع تلك الصرخة . قالت ماجدة :

– حذار هشام ، لا تتماد !

وهب واقفاً :

– هيا اذن ، سنعود الى دمشق .

– هشام ، اتركنا في سلام يا أخي ، ما الذي يغضبك ؟ ام أنك مسؤول عن هؤلاء الحيوانات وحقوقهم ؟

وتدخل وصفي :

– صل على النبي . اهدأ . القضية لاتستأهل هذا كله . هيا ، دعونا نبدأ باعداد الطعام . واستدرك مغمغماً :

– لا نفع من المناقشة معها .

ومضى الوقت بعد ذلك غليظاً .

وبعيد الغداء نام وصفي ، واستلقى هشام بجانبه يحرق سكائره واحدة فوق واحدة . اما السيدتان فكانتا ممددتين تحت السفرجلة تثرثران باسترخاء كامل وببطء . ويبدو أن فوزي لم يكن على وفاق مع الهدوء مطلقاً ، كان الآن يقطف التين الفج من الاغصان السفلى ، المتدلية حتى ذراع من الارض ، ويقذف بها العصافير او ذلك الكلب الصغير الذي جذبته رائحة طعامهم من مكان ما ، او يلقي بها الى الماء ، وهو يهمهم همهمة لا تبين لانشغال فمه الدائم بالمصاصة .

على ان سنية لم ترض بهذا الوضع طويلا . أتستلقي هكذا ، وهي تتطلع الى بقية كبيرات السفرجل من غير ان تلبي تحديها ؟ أية حماقة ! فقامت باغارة واسعة النطاق هذه المرة . وتضاحكت ماجدة ، ثم اغمضت عينيها ، ترجو صحبة نوم تحبه اكثر مما تحب اي شيء .

صور من الأدب

أيام الفراعنة

مأخوذة عن كتاب التاريخ العام

تأليف : كارل غريمبرغ

تلخيص: عدنان قرجولي

ان ما نعرفه عن أدب المصريين القدماء ، لأقل بكثير من معرفتنا بسائر فنونهم الأخرى ، وذلك لأنه ليس من أدب مصري قديم بدون ورق البردي ، هذا الورق الذي لا يمكن في أية حال أن يقاوم الزمن كالحجر .

ومع هذا فقد وصلتنا بعض النصوص المصرية بقدر كاف لاعطاء فكرة عن غنى وتنوع هذا الأدب .

ولنستهل البحث بادئين بالكتب المدرسية المختصرة . فهذه الكتب تكثر من الاشادة

بالفوائد الحياتية التي تحملها المعرفة للناس المثقفين . وهي كذلك ملأى بالتوعد والتنبيهات اللاذعة للطلبة غير المثابرين الذين يفرون من المدرسة كالصيصان النزقة ملقين بكتبهم جانباً لكي يجروا وراء كل مسرة » . « يتسكعون من شارع الى آخر ، تجذبهم رائحة الحبة ويعملون لدمار أنفسهم » . « انهم يترددون على بيوت الليل ، ويقبعون فيها للعب والغناء ، بدلاً من دراسة الملاحم التاريخية المجيدة لأجدادهم » .

في بعض الأحيان يهدد المربي هؤلاء الأشقياء بسوط من جلد فرس البحر وأحياناً يناشدهم الله أن يأخذوا العبرة عنه نفسه . « عندما كنت فى مثلك وطالباً في سنك ، كان يفرض علي البقاء مكتوف اليدين مدة ثلاثة أشهر ، ولقد اشاع ذلك الوثاق النظام في أعضائي . وحينما كانت تزال الأربطة عني ، كنت اقوم بكل شيء أفضل بكثير من ذي قبل . ولقد أصبحت الاول بين رفاقي ، وصرت الاقوى منهم جميعاً في القراءة والكتابة » .

ARCHIVE http://Archivebeta.sakhrit.com

الى أي هدف كانت تسعى المدارس ؟ الى تعليم الطالب لكي يصبح « كاتباً » أي ان يصير موظفاً ، لان الوضع المستقر والمطمئن للموظف كان مثل المصريين الاعلى .

لقد كان المصريون القدماء ، منـــذ اقدم العصور ، يكنون الاحترام للمعرفة . ليس للمعرفة بذاتها وحسب ، بل لان الكاتب وهو الرجل المتعلم كان يمارس السلطة على كل فئات المجتمع . فلقد كان لدى الكاتب الإمكانية الجميلة لاحتلال وظيفة في الدولة بينما كل الآخرين عليهم العمل بعرق جبينهم . ولقد قال احد حكماء مصر القديمة : « الرجل الفقير الجاهل ، الذي لا احد يعرف اسمه ، هو كحمار ينوء تحت حمل باهظ ، يسوقه المتعلم امامه » .

فالعالم المثقف يعيش في نعمى بفضل معرفته . كم هي حياته جميلة اذا ما قيست بحياة الفلاح ! ان يقرأ ويرى ماذا يحدث لذلك الذي عليه أن يعيش من الارض : الدودة تتلف نصف محصوله ، وفرس البحر النصف الآخر . إن الحقول تعج بالفئران ، والجراد يهبط على الأرض ، والعصافير الدورية تسرق الحب . الويل للفلاح ! ثم ان المتعلم يصل الى قرى الفلاحين لكي يجمع الضرائب ، وخدمه في أيديهم العصي قائلين للفلاح : « اعطنا حباً » ، فاذا لم يكن هنالك من حب ، يجلدونه ويلقون به في السجن ، وزوجته وأبناؤه مقيدون تحت ناظريه ».

ومن أجل الوصول الى الوضع الرفه للموظف ، ينبغي للشاب أن يعرف كيف يجعل نفسه محبوبا من رؤسائه . وهذه هي الفكرة الرائدة تقريباً لكل « مذاهب الحكمة التي تعلم في المدرسة » .

ولكن الكتب المدرسية في مصر القديمة تحتوي أيضاً نصوصاً ذات قيمة اخلاقية أرفع ، تتجاوز الى حد بعيد تلك الحكمة المدرسية . فنظر الادب المصري القديم كان ضبط النفس خلقاً محموداً جداً . وحتى في العهود الاكثر قدماً ، كان الذوق والكياسة ولو قبل الجاحدين ، معتبرين من الواجبات .

كتب الحكمة والحكماء الأول

ان احد كتب الادب المصرية البارزة وهو « مذهب الحكمة » الذي ربما كان من تأليف وزير لآخر ملوك الاسرة الثالثة يشيد قبل كل شيء بالتهذيب الاجتماعي . اذ « يجدر بالمرء أن يكون حسن التقدير ، على حد تعبيره . وهذا لا يمنعه من الشرب مع السكير والجلوس الى المائدة بصحبة ماجن ، اذا ما عرف كيف يكون معتدلاً ، لانه لا موجب لصدم الناس الذين لا يشاركوننا آراءنا

ينبغي أن نصون لساننا في حضور الناس الذين هم غير اهل لحفظ السر . لا يحسن بالانسان أن يكون متغطرساً لان احداً لا يدري ماذا يجيء له القدر » . ويتابع هذا الحكيم قائلاً ان الشاب الذي يتبع نصائحه سيقطف ثمار النجاح .

وحكيم آخر شهير من ايام الامبراطورية القديمة كان وزير الاسرة الملكية الخامسة تحت اسم بتاحوتيب يوصي : « ان كنت تريد الحفاظ على صداقة اسرة تستقبلك ، فاياك والاقتراب من نساء البيت . لقد سببت النساء ضياع آلاف الرجال . ان المرء ليفتن بجسدهن الخلاب ، ولكنهن بعد الهنيهة القصيرة الهنيئة يفقدن كل بهاء . دقيقة واحدة من المتعة ، وبعدها يأتي الموت الذي هو نهاية كل شيء » .

ويقول ايضاً : « عندما تصبح في بحبوحة ، تزوج ، واحب زوجتك اكثر من اية امرأة في الوجود . قدم لها الغذاء السخي والثياب الجميلة ، فهذه علاجات ناجعة مع المرأة . ضمخها بالعطور الزكية واجعلها سعيدة حتى موتها . ان المرأة حقل جيد لمن يملكه » .

« اذا ماغدوت يوماً من الاغنياء وقوياً بعد إذ كنت فقيراً ومجهولاً ، فلاتنس الماضي ! ولا تركن الى اموالك التي هي هبة من الله. فقد يحدث لك نفس الشيء الذي حـــدث لأولئك الذين كانوا اغنياء فأصبحوا فقراء ، فأنت لست خيراً منهم » .

كتاب حكمة آمينيموب

إن هنالك مذهباً للحكمة يعود تاريخه الى القرن العشرين قبل المسيح على وجه التقدير ، او لعهد لاحق ، ويرتدي طابعاً ذا اهمية خاصة . فهو الأثر الاعظم اهمية بين آثار الثقافة المصرية .

كان مؤلفه آمينيموب موظفاً من مرتبة عالية نسبياً ويحمل صفة « كاتب ملكي للحبوب » . وذلك يوحي بأن الضرائب كانت تجبى بشكل حبوب, وبأنه كان يوجد في كل انحاء البلاد أهراءات قمح عائدة للدولة ، وان جهازاً كبيراً من الموظفين كان مكلفاً بتأمين التموين لهذه المخازن .

لقد كتب الحكيم هذا الكتاب لولده الاصغر ، وقد خط له فيه قواعد للسلوك في الحياة ، تفيده في علاقاته الاجتماعية والوظيفية المستقبلة . ولكنها ايضاً دروس في الاخلاق لكي يتمكن الشاب من العيش سعيداً على هذه الارض وأن يتحاشى السوء . فوالده يوصيه بالتواضع والرفق بالآخرين : « ابسط يدك للانسان الذي يمتحنه الله ، وإذا مامنع الله رزقه عنه ، فأطعمه من خبزك ! » . « إنك تفرح الله ، إن فكرت ، قبل الحديث مع رجل غاضب . كن هادئاً إذن في حضور خصومك . واخفض جناحك لذلك الذي يسيء اليك . دع ليلة تمضي قبل ان تتحدث إليه ! لانه يكون ساعتها أشبه بالعاصفة ، وهو يهب الى الامام ، كالنار في الهشيم » .

وينصحه لكي يكون موظفاً رحيماً : « كن طيباً وانت تجبي الضرائب ، فلا تستعمل مكاييل غير صحيحة عندما تكيل الحب . وهكذا يمكنك النوم بسلام وتحس براحة الضمير في صباح الغد . ولكن لاتدع نفسك تقع ضحية خداع الفلاح ، ولا تشوش قائمة الضرائب لصالحه حين يريد ان يغش هرباً من الضريبة » .

« لاتنزع أي تخم حينما تقيس حقلاً ، ولا تمس حدود حقل مالكته أرملة . إن ذاك الذي يقترف مثل هذا الذنب ظالم للضعفاء ، وينبغي ان يهدم اهراؤه ، وان تنتزع امواله . لاتشته مال الفقير ولا تسكت جوعك بخبزه ، فان اموال الفقراء مرة في الحلق . إن كيلاً من الحنطة يمنحك إياه الله لخير لك من خمسة آلاف

كيل مغتصبة بالعنف . ان مثل هذا القمح يبلى في الاهراء ولا يشبع من جوع قط . قليل من الخبز لكل يوم ونفس مبتهجة أحسن من الثروة مع تبكيت الضمير . ان مركب الرجل الجشع والذي لا يشبع تغرقه العاصفة ، ولكن المركب الصغير لرجل طيب يحظى بالريح المواتية » .

« كن كثير الرعـــاية لأقرانك ، لا تهزأ من الأعمى ، ولا تسخر من القزم ، ولا تسيء الى الكسيح ! لا تضحك من امرىء بين يدي الله و كن رحيماً معه اذا ما اتفق له أن أزعجك . ان الإنسان مخلوق من قش وتراب ، والله هو المهندس . كل يوم يهدم ويعمر ، يفقر آلاف بني البشر ويرفع آلافاً آخرين لكي يسلطهم على أقرانهم » .

ثم ينصحه بالوفاء قائلاً : « لا تفصل بين قلبك ولسانك . ان الله يكره المنافق ، ولا شيء عنده أبغض من الرجل ذي الوجهين » .

أدب القصة عند قدماء المصريين

إن لدى المصريين ثروة من الأساطير ومن أقدم هذه الأساطير حكاية الأمير المحكوم عليه بالموت ، هذه الحكاية تعود الى ١٥٠٠ سنة قبـــل المسيح ، وهي تدور في بلاد ما بين النهرين الرائعة ، والتي بدأ المصريون يتعرفون إليها في ذلك العهد ، وذلك عن طريق بعثات تحوتمس الثالث . فلقد أصبحت هذه البلاد مصدر الأساطير ، كما كانت الهند بالنسبة لجيل القرن الرابع عشر .

قصة الأمير المحكوم عليه بالموت

« كان يوجد في مصر القديمة ملك لم يرزق بولد ، فأغمه ذلك كثيراً . ودعا للآلهة ان تهبه ولداً ، وبعد فترة من الزمن ، منح له هذا النسل . فجاءت ثلاث

جنيات لرؤية الطفل في سريره الصغير وما أن رأينه حتى تنبأن : « إن قدره هو الموت على يد تمساح او ثعبان او كلب » . وعندما سمع الملك بذلك خاف كثيراً على الأمير الصغير وعزم على إبعاده الى مكان لا يطاله فيه أذى ، فشيّد له قصراً في قلب الصحراء ، وعهد الى بعض الخدم الموثوقين بمهمة السهر على الطفل الذي لايجوز ان يغادر القصر قط ، فترعرع الولد في جو من الهدوء والسكينة في قصره الصحراوي . الى أن جاء يوم شاهد فيه الولد رجلا يتبعه سلوقي ولا يفارقه قيد أنملة . فسأل أحد الخدم : « ماإسم هذا الحيوان الذي يجري خلف الرجل ! » . فقال الخادم : « هذا كلب صيد » . فقال الولد عندئذ : « اعمل على ان يكون لي كلب مثله » . فذهب الخادم الى الملك وحمل اليه أقوال الأمير الفتى . فقال له الملك : « احصل على كلب صغير واحمله الى ولدي لكي لايشعر بالأسى ! » . وهكذا صار للأمير كلب ينمو معه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحين بلغ الأمير أشده ، ضاق ذرعاً بالحياة منغلقاً على نفسه في قصره الفخم . فأرسل الى والده رسولاً يحمل هذه الرسالة : « لماذا تحتبسني ها هنا يا أبتاه ؟ ألأن الجنيات تنبأت بمصيري . دعني على الأقل امتع نفسي قليلا بهذه الحياة . فإن الله يصنع ما يريد ! » فأذعن الملك الى رغبة ولده ، واعطاه حصاناً وعربة من عربات المحاربين ، وكل أنواع الأسلحة وقال له : « اذهب حيث تحب وترغب ! »

فبادر الامير بالتوجه اول الامر الى الحدود الشرقية للامبراطورية ، ومن هناك انطلق نحو الشمال ، وفي إثره كلبه الأمين ، الى أن وصل الى بلاد ما بين النهرين .

وكان للملك الذي يحكم تلك البلاد ابنة وحيدة ، ذات جمال أخاذ . فأقام

لها قصراً فوق صخرة منيعة ، تقـــع على علو شاهق . ثم دعا كل أمراء سورية وخاطبهم قائلا : « من استطاع منكم الوصول الى نافذة ابنتي غدا لها بعلا ! » .
فأقام الامراء الشباب خيامهم حول قصر الاميرة الجميلة ، واخذ الجميع يحاولون في كل يوم السعي نحو تلك النافذة دون طائل . الى ان وصل ذات يوم الى مخيمهم الامير المصري الشاب . فبادره الامراء السوريون الشبان بالسؤال عن البلد الذي جاء منه وعن اسمه ، ولما كان لا يرغب في إفشاء هويته فلقد اخبرهم بأنه ضابط مصري ، ماتت أمه وتزوج ابوه امرأة ظالمة ، فاضطر الى مغادرة البيت الأبوي ، فدعاه الشبان الى مشاركتهم في المباراة السعيدة ، بعد ان قصوا عليه حكاية محاولاتهم الصعود الى الصخرة الشاهقة . ورغب الغريب في تجربة حظه ، وبين دهشة الجميع وإعجابهم ، تمكن من الصعود والوصول الى نافذة الاميرة ، وحين شاهدته خلب لبها بقوته وفوزه فضمته اليها وأشبعته تقبيلاً .

وحين علم الملك بأن واحداً من الشبان قد نجح في التسلق الى الاميرة ، سأل قبل كل شيء عن اسم ذلك الامير الذي تمكن من ذلك فأجابه الرسول : « إن الفائز ليس اميراً ، بل هو ضـــابط مصري طردته امرأة ابيه من البيت الابوي » . فثار الملك وقال : « إذن علي ان أعطي ابنتي الوحيدة الى مصري تائه ؟! أعيدوه الى بلاده على الفور » . وعندما جاء الرسول من قبل الملك ليأمره بالرحيل ضمته الاميرة اليها وقالت : « أقسم بالإله را هاراكته إن اردتم أخذه ، فلن آكل او اشرب قط . وسأنذر نفسي للموت » .

ولما علم الملك بما جرى من ابنته ، ارسل بعض رجاله وامرهم بقتله تحت سمع الاميرة وبصرها . ولكنها قالت لهم : « لئن قتلتموه فسترونني ميتة قبل غياب الشمس . فأنا لا اريد البقاء بعده على قيد الحياة لحظة واحدة » . وفي مثل

هذه الحال ، وجد الملك نفسه مرغماً على الموافقة على زواجها . فزفت الاميرة الى الشاب المصري واهدى الوالد الزوجين الشابين قصراً وعبيـــداً وحقولاً واشياء ثمنة اخرى .

وبعد الزفاف أنبأ الامير عروسه الشابة قائلاً« إن قدري هو بالموت على يد تمساح او ثعبان او كلب » . فقالت له الاميرة : « لم تحتفظ إذن بهذا الكلب دائماً الى جانبك ؟ اعمل على التخلص منه » . فأجابها الامير : « لا ، لا اريـــد قتل كلبي الامين . ولقد اهداه إليّ والدي صغيراً » . ومنذ ذلك اليوم والاميرة لا يبارحها القلق على امر زوجها ، فلم تكن لتغـادره ثانية واحدة .

وبعد فترة من الزمن عاد الامير وزوجته الشابة للعيش في مصر ، والكلب معها . وذات ليلة والامير نائم ، انسل ثعبان ضخم الى غرفته وشاء لدغه . ولكن زوجة الامير تيقظت وطلبت الى الخدم الإسراع باحضـــار كوب من اللبن . فشرب الثعبان من ذلك اللبن حتى بات لا يستطيع حراكاً . فقتلته الاميرة طعناً بالخنجر ، ثم ايقظت زوجها الذي عجب كثيراً لمشاهدة الثعبان بقربه . فقالت له زوجته الامينة « انظر فان الله قد جعلك أقوى من احد اقداره الثلاثة بموتك . وسيفعل الشيء نفسه بالنسبة للأمرين الآخرين ! » .

ونحرت الاميرة القرابين وحمدت الآلهة .

ومرة اخرى ، كان فيها الامير يتنزه ، وفجأة شاهد الكلب صيداً فأسرع نحوه وهو ينبح ، والامير في إثره . فوصلا الى ضفاف النيـل ، فأمسك تمساح كبير بالشاب قائلاً له : « أنا قدرك الذي يتبعك أنى ذهبت ... »

إن اوراق البردي التي خطت عليها الحكاية تقف عند هذه الكلمات . ولا يمكننا ان نعرف قط ، ماذا حدث بعد ذلك . إلا انه من المرجح ان القصة ذات نهاية سعيدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن اقدم قصيدة مصرية وصلت الينا هي من اغاني العمل ، واننا لنجد اغنيات العمل القديمة جداً فوق القبور . فهي منحوتة عليها لكي تفسر معنى النقوش. وتحت صورة حراث يؤدي عمله نقرأ :

انه يوم بديع
لطّفته النسمات
ها هي الثيران تسعى
والسماء زرقتها ما نشتهي
فلنقم نعمل لكي يرضى المليك

واما اغاني الحمالين الذين يحملون صناديق الحب الثقيلة وينقلونها الى المراكب ، فهي ذات وقع آخر :

أترى قدّر أن نحمل مادام النهار
ذرة" ، قمحاً ، صناديق كبيره ؟
سفن ترزح في اثقالها ..
وعلى شاطئنا الحبّ مبعثر ..
ثم يأتي من ينادينا اعملوا ، والصوت ينهر ..
إننا نحمل قلباً من نحاس !..

وهذه الأغاني ألفت لتغنى متوافقة مع حركات العمل ، وحين تكتب تفقد الكثير من رونقها .

إن أهم مجموعة للقصائد المصرية موجودة في المتحف البريطاني ، على

أوراق بردي مكتوبة قبل ثلاثة عشر قرناً ، وبعضها يعود الى زمن أكثر قدماً. وكل هذه القصائد أغاني حب . فالعاشق يشبه محبوبته بأجمل الأزهار ولا يمل من التعبير عن العذاب الذي يسببه له غياب الحبيب . إن النصوص تبدو بسيطة ، ومن المحتمل أن تأثير القصيدة كان يعود في الأغلب الى صوت المغني ومهارته بالانسجام مع أنغام الآلة التي يعزف عليها .

ومن هذه القصائد مايفيض حباً ورقة ، وفي إحداها تناجي الفتاة الشاب المحبوب قائلة :

آه ياحبيبي ، كم هو جميل الذهاب الى الغدير
وأن أستحم تحت ناظريك ، فترى الى مفاتني
وثوبي المصنوع من الكتان الناعم . كتان يليق بملكة
يبتل فيلتصق على كل حنية في جسدي
إنني في الماء قبلك منذ زمن
وسأعود إليك ومعي سمكة حمراء جميلة
غافية في يدي
فتعال وانظر إلي

ويتنهد الحبيب الشاب :

آه لو كنت عبدة بين جواريها
إذن لكنت دوماً الى جانبها
واستطعت أخيراً أن أرى بدائع جسمها

وفي قصيدة ثانية :

آه لو أمكنك المجيء الى حبيبتك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سريعاً كجواد من خيل فرعون
منتقىً بين ألف جواد سباق
جواد ما أن يسمع فرقعة السوط
حتى يبدو وكأن شيئاً غير قادر على إيقافه
وما من قائد عربة يستطيع كبح جماحه
آه .. اطمئن ياقلب الحبيبة
إنه غير بعيد .
لاتتناول خبزاً
وآخر يقاسي من جوع
ولم تقدم له الخبز
فواحد من الناس غني ، والآخر فقير .
والرجل الذي كان حتى العام الماضي غنياً
قد يصبح هذا العام سائس خيل
ومجرى الماء في السنة المنصرمة
قد تحول الى واد آخر
إن بحاراً كبيرة قد تتحول الى صحارى قاحلة
وتلالاً من الرمل قد تنهار في المهاوي .

أغاني الشراب

كان المصريون يقضون حياتهم في التحضير للموت . ويخصصون قسماً كبيراً من اوقاتهم للقبور والمومياء . وقد يظن أن شعباً كهذا ذو مزاج سوداوي

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

مكتئب . ولكن قطعاً لا ! فالمصريون كأكثر الشعوب التي تعيش على شواطىء المتوسط المشمسة ، كانوا دائماً مرحين وغير مبالين ، ويعرفون إشاعة الحبور بالأغنية المبهجة أو الحكاية المسلية .

إن فرحهم بالحياة يتجلى أيضاً في أغانيهم أثناء الشراب . وفي هذه الأغنيات عرفان دائم لإله الخمر . كانت مصر تنتج وتستهلك كثيراً من الخمر ، وخمور الفيّوم كانت أكثر الخمور شهرة . وكانت في مصر القديمة حانات تصدح فيها الأغاني بصحبة الآلات الوترية . أغان تضج بالفرح بالحياة ، ولكن حتى في هذه الأغاني ، لم تغب فكرة الموت قط .

تمتع واتبع آلهة القلب مادمت على قيد هذه الحياة
ضمخ رأسك بالمر ، والبس ثياباً جميلة
لاتعذب القلب قبل أن يأتيك يوم التراتيل الجنائزية !
لأن أوزوريس لايستمع الى صراخ البكائين
والشكاوى لاتنقذ أحداً من القبر
احتفل إذن بفرح اليوم
ولا تكل عن التمتع
لأنه ما مِن إنسان في مقدوره أن يأخذ معه مايحب
وأولئك الذين يمضون لايعودون أبداً !

وإنه لمن الغريب وجود مثل تلك الأناشيد حتى على قبر كاهن . هذا القبر الموجود في مدفن طيبه ، وقد كتب على جداره :« عش يومك مبتهجاً ، أنت يانيفرحوتب ، يا أيها الكاهن الفاضل ذا اليدين الطاهرتين ! » .« زين بتاج من ازهار اللوتس حبيبة قلبك الجالسة بقربك ! ولتصدح الموسيقى والأغاني في

أذنيك ! أبعد عنك كل فكرة سوداء ، ولا تفكر في غير المرح حتى يجئ اليوم الذي تحمل فيه الى بلاد الصمت ! ».

يصدر خلال شهر آب الحالي

الفن الاسلامي

تأليف : جورج مارسيه

ترجمة : د . عفيف بهنسي   مراجعة : عدنان البني

كيف تكوّن الفن الاسلامي ؟ ما العوامل الفارسية والبيزنطية التي أثرت فيه ؟ من أين يستمد أصالته ؟

أسئلة كبيرة يجيب عليها عالم كبير

منشورات وزارة الثقافة ــ دمشق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

پيتر ڤايس

أمام جمهور لاسياسيّ

رسالة باريس من

سعد الله ونّوس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذا استثنينا الغزارة الكمية التي تمتاز بها باريس في مختلف المجالات الفنية، فان الأحداث المسرحية الحقيقية، انما تظاهرت كلها هذا العام بعيداً عن باريس . في برلين اقيم اسبوع برشت . وفي فرنكفورت قدمت لأول مرة مظاهرة بيترفايس المسرحية « خطاب الفيتنام » ، وفي لندن عرض بيتر بروك مسرحية « أوديب » لسينيك في إخراج جديد وجريء . وفي جنيف قدمت هذا الموسم ولاول مرة باللغة الفرنسية مسرحية الكاتب الامريكي الشاب روبير فينفارتن « الصقور » . وكذلك مسرحية فايس « اغنية الغول » Leviathan [1] » . وعن هذه المسرحية الاخيرة التي اتيحت لي مشاهدتها والحديث مع مخرجها خلال زيارة قصيرة لجنيف ، سأتحدث الآن ..

* * *

(١) اسم الحيوان الوحشي الذي لقيه أيوب في انباء « العهد القديم » ويرمز للقوة الخارقة التي تستطيع أن تفعل مايعجز عنه الانسان — المعرفة —

بدلاً من الامثولة - La Parabole - عند برشت ؛ فان الوثيقة الموضوعيـــة تصبح الركيزة الاساسية التي يقوم عليها المسرح عند بيتر فايس. إننا دائماً في مجال المســـرح « الملحمي » . لكن تطويراً جديداً يحاول أن يمنع التجربـة البريشتية من السقوط في فخ الكلاسيكية والجمود، وأن يرفد فعاليتها بمعين جديد ، فـــلا تنضب او تتوقف . هذا هو تقريباً جوهر الاتجاه المسرحي الذي يباشره الآن بيتر فايس . فهو كبرشت يريد أن يعيد تقديم الواقع الموضوعي للتاريخ بمختلف علاقاته، وهو مثله يريد أن يتم هذا التقديم بشكل تحليلي يوقظ فيـه وعي المتفرج « المسجون باوضـاع مجتمعه الطبقي » بدلاً من أن يطهره من حوافز التمرد ، او فائض النقمة . لكن مقابل «الامثولة» التي كان برشت يعتمدهـا وسيلة لتقـديم وتحليل « الحقيقة » الموضوعية ؛ فانـ فايس يلجأ الى المباشرة الغـاربة .. الى الحقيقة الموضوعية ذاتهـا تقولها الوثائق التاريخية الثابتة . وذلك يحقق دون شك نتائج هامة على مستوى فعالية المسرح في مجتمع سجين . فالأمثولة يمكن أن تحتمل التأويل . ومن الجائز أن تخان معطياتها كما يحدث غالباً حين يقدمون برشت في المجتمعات الرأسمالية . ثم إن الانسان السجين في مجتمع طبقي تسيطر على منافذ ثقافته وإعلامه الطبقة المستفيدة من الاوضاع الشاذة في بلادها وفي العالم . يجهل الحقيقة ويجهل التركيب الفعلي لأوضاعه . ان كل مايقدم له يختلط فيه - وبكثير من الذكاء - التزوير والتشويه . لذا فان الوثيقة يمكن ان تصحح معرفته ،وأن تساعده فعلاً على تحليل أوضاعه من جديد لعله يرى جدر ان سجنه . لا سيما وأن المسرح الوثـائقي يحقق على المستوى الفني « تغريباً » أحد . إذ أن المتفرج لا يرى شخصيات قد يندمج فيها ، ويفرغ مشكلاته عبرها، بل أوضاعاً تاريخية عارية وموضوعية هي بالذات اوضـاعه واوضاع العالم الذي يعيش فيـه . إن

شخوص المسرحية لايمكن ان يكونوا إلا ممثلين . اي لايمكن ان يصبحوا « ابطالاً » بالمعنى التقليدي للمسرح . وبالتالي تنتفي نهائياً إمكانات « التطهير » بالمعنى الأرسطي اساساً ، ثم بشكله « الطقسي » كما حلم به انتونين آرتو ، ومسرحيون كثيرون من بعده ليس آخرهم جان جينيه او آرابال .

الأساس هو الوثيقة ، هو التحليل الموضوعي لمعطيات الوثيقة . اما هؤلاء الذين يتكلمون ويتحركون أمامنا على خشبة حسنة الإضاءة ، فانهم ليسوا إلا مخبرين ، أو مستظهرين يتجاوزهم الوضع كأفراد تماماً في نفس الوقت الذي يتضمنهم . والحالة هي نفسها بالنسبة للمتفرج، الذي يصغي الى تاريخ الاستعمار البرتغالي كما تقدمه له الوثائق والأحداث، يرويها سبعة ممثلين يتناوبون الأدوار بلا نظام ، مرة يكونون جنوداً في الحملة الاستعمارية ، ومرة زنوجاً مضطهدين . . مستنزفين يكون أوضاعهم التعيسة ؛ فهو لايندمج في بطل ، ولا ينفعل في موقف ، وإنما يصبح شاهداً لوضع أوسع من فرديته لكنه يعنيه مباشرة، اوينبغي أن يعنيه لأنه وضعه بالذات . بتعبير أوضح : يتجاوز حدوده كفرد ، ليبحث عن هويته في التاريخ .

(سبعة ممثلين ، أربع نساء ، وثلاثة رجال يؤدون كل أدوار المسرحية . الثياب عادية ، والانتقال من دور الى آخر يمكن ان يتم بطريقة بسيطة . أداة صغيرة تكفي خوذة استعمارية، صليب، عصا . . ثم ينبغي أن يؤدي الممثلون مهما كان عرقهم أو لونهم . وبشكل متتابع الدورين معاً ، اعني المستعمِر والمستعمَر . والتمثيل وحده هو الذي يعبر عن موقفهم من الصراع .)

وهكذا تتقرض الشخصية التي يتشرنق حولها المسرح المغلق ، لتظهر احداث واوضاع الشعوب يؤديها ممثلون «يمثلون». فعلاً حقائق هذه الأحداث والأوضاع . لايبدل من الأمر شيئاً ان لهم موقفهم الخاص وهم يمثلون .

البداية هي مظاهرة . شباب يحملون اللافتات يحتلون المسرح الذي يمكن ان يكون ساحة عامة او مركز مدينة ، او اية مساحة يسكنها البشر . ينفصل عنهم سبعة اشخاص يلعبون امام الآخرين قصة الاستعمار البرتغالي في افريقيا لكي يرفضوه ، ويحاربوه . لكن لا من خلال إثارة عاطفية ، او حماس عابر ، وإنما من خلال منهج ديالكتيكي يعتمد الحقائق والوثائق بالدرجة الأولى .

الممثلون ينصبون من الخردة والقطع المعدنية الصدئة تمثالاً للاستعمار البرتغالي . التمثال غول شاهق و كبير الا انه مهترىء عجوز لايكف عن التثاؤب . (الحيلة الكذبة ، الخدعة ، هذه هي اسرار فكره .. البشاعة ، الحقد ، النتن هذه هي نسيج كلماته) هكذا يقدم الممثلون الغول الذي يتناول الحديث منهم ليقدّم نفسه (أتلقى أوامري من الله . رسالة البرتغـالي أن تنشر على الارض الدعوة الإلهية . ان التاريخ كله يكشف عجز الإنسان عن قيادة نفسه . لابد له من سلطة تقوده وتحميه من السقوط في الانانية والمادّية . وفي عصر المنفعة الاقتصادية ، وارتفاع مستوى الحياة نحن مهددون بالفراغ الروحي . هدفي ان أحمي الانسان من اغراءات السقوط ، وان أصنع انساناً خلوقاً وواعياً على الدوام القيم السامية التي توجد فيما وراء قيم التكنولوجيا الزائلة) .

وتحت شعارات التمـدين ونشر الدعوة الالهية ، تخرج بعثات التبشير تتبعها الجيوش المقدسة ، ويلقي الانسان الابيض مرساته في أراض بعيدة يسكنها ناس بسطاء . وتحت شعارات التمدين ونشر الدعوة الالهية تحتل الجيوش البيضاء التي باركتها السماء أراض بعيدة ، وتستعبد ناسها البسطـاء بانية لهم على أرضهم جحيماً الموت أهون منه . ويتناوب الممثلون حدي هذا التفاعل الصعب كاشفين بما لديهم من وثائق أبعاده العميقة ودوافعه .

التمدين . التبشير ! الصلبان تتقدم

المدافع والجيوش ، وتصبح الحقيقة اليومية لزنوج أنغولا وغينية وموزمبيق القتل والاستغلال والذوبان . يخدمون البيض ، يموتون وهم يبنون لهم البيوت والطرقات ، أو يغورون في أعماق المناجم الخانقة . السود يمحّون . لايملكون بعد شيئاً في بلادهم .

د ٦ : (وهو أبيض) جئت إلى الغابات كي أقطع الأخشاب .

٥و٧ : (وهما من البيض) اقطع الأخشاب . اقطع الاخشاب في الغابات الاستوائية .

الجوقة :(وهم من السود) ماعادت الغابات لنا . ملعونة هي الغابات .

٦ : جئت الى السهول لأربي الماشية .

٥و٧ : ربّ الماشية في السهول

الجوقة : ماعادت السهول لنا . ملعونة هي السهول .

٦ : جئت الى الجبال لأصطاد الطرائد .

٥و٧ : أسقط الطريدة . أسقط الطريدة ببندقيتك

الجوقة : ماعادت الجبال لنا . ملعونة هي الجبال .

٦ : جئت الى المدن لابني بيتاً .

٥و٧ : أيها العبد امسح لي حذائي . أيها العبد احمل لي حقيبتي .

الجوقة : ماعادت المدن لنا . ملعونة هي المدن .

هوذا التمدين . . هي ذي الدعوة الإلهية . . »

وبين العمال الافريقين ، ١٪ فقط استطاعوا أن يصبحوا على « مواطنية » الوطن الام . وللمواطنية شروط لابد من توفرها . أولاً ألا يكون المواطن قد حكم من قبل ، أن يتكلم لغة الوطن الأم بطلاقة ، أن يكتبها بسهولة ، أن يعرف التاريخ المظفر للوطن الام ، أن يقسم على الاخلاص له ، أن يأتي بشاهدين يؤكدان مزاياه ، أن يحمل شهادة صحية ، أن يكون له عمل ثابت ودخل ثابت ، ان يدفع الضرائب بشكل منتظم ، ويؤدي الواجبات الدينية بالتمام ، وله تربية تؤهله

للقيام بواجباته الخاصة والعامة . بعدئذ يصبح له حق التصويت والانتساب الى النقابات. (١٪) فقط يكن ان تتوفر فيهم هذه الشروط . أما البقية فانهم بلا هوية ، يعملون كالحيوانات في المناجم وعلى الطرقات الرجال يضيعون نساءهم . والنساء لا يعرفن أين اولادهن . وإذ تقول « آنا » الحامل في شهرها السادس انها اشتغلت اليوم ١٢ ساعة ، وانها يجب ان تعود الى كوخها لترى ابنها المصاب بالحمى ، تُضرب حتى تجهض طفلها ، وتلقى عاوية في حجرة ارضها خشنة . وإذ يطلب بعض سكان مقاطعة كابينكا من السلطات ان تسمح لهم بأن يفتحوا مدارس لأولادهم ، تُبعثر أشلاؤهم في أراض بعيدة ، ثم تحمل الأنهار ايدي ورؤوس واحشاء رجال مزقت اجسادهم في ارض مجهولة .

هذا هو التمدين .. هذه هي الدعوة الإلهية .

وفي انغولا الاستثمار يعطي ارباحاً بالغة لأن الأيدي العاملة رخيصة جداً :

● الماس

— من اجل شركة الماس الانكلو امريكية .

— من اجل جماعة اوبنهايمر

— من اجل مورغان

— من اجل وبير

— من اجل غوغنهايم

— من اجل روان ولافورمينيير

— من اجل الاتحاد المنجمي لأعالي كاتنغا

— من اجل الفاراتني تروست بنك

● الماس

— مليون قيراط في العام

● الماس

— (٢٤٠٠٠) رجل في المناجم ، (٢٤٠٠٠) من المحكومين بالاشغال الشاقة في المناجم . (٢٤٠٠٠) رجل ينبشون من اجلكم الماس في مناجم لوندا ولواندا ، لقاء اجر سنوي مقداره ٢٠٠ دولار . »

ثم تتوالى وثائق كهذه عن البترول ،

عن الحديد ، عن القهوة . ومع كل مادة يتكرر نفس الشيء . ماهي الشركات التي تستثمر اموالها هناك ، وعدد العمال وأجرهم الهزيل .

هذا هو التمدين .. هذه هي الدعوة الالهية .

ولذلك حين تندلع الثورة ، تضع كل دول العالم الرأسمالي ، التي تستثمر شركاتها ثروات المستعمرات البرتغالية ثقلها لمساعدة البرتغال في المحافظة على مستعمراتها وإتمام رسالتها التمدينية ودعوتها الالهية .

غير ان الثورة تحتدم . وقوات الأطلسي تبحر بالآلاف الى البلاد المعدة التي يسكنها ناس بسطاء لاحقوق لهم إلا أن يتعاونوا مع المستعمر ، ويتحالفوا طبقياً معه . وبما ان التمثال « الغول » هو من معادن صدئة ، فان الشمس تشرق للثورة ، لا لقوات الاطلسي التي تملأ افريقيا بالرعب .. ويسقط المتظاهرون كومة المعادن الصدئة ، مبشرين بأن الثورة مستمرة ، وبأنها ستقتلع المستعمرين من افريقيا .

* * *

هنا ، ينبغي الا تستدرجنا ظاهرة الصورة ، فنحسب ان بناء مسرحية فايس يقوم على مجرد تفاؤل سهل ، وتبشير تقليدي بنهاية الاستغلال والشرور ، بحيث يغدو المعطى الاساسي تنبؤاً ساذجاً بأن الكلمة النهائية للخير وانتصار الشعوب مهما طال الزمن . مرة قال سارتر : نحن لسنا مع الفيتناميين لأسباب أخلاقية . وكان بذلك يضع تخوماً بين الموقف التاريخي ، وبين الشفقة المسيحية التي تموه الحقيقة اكثر مما تكشفها . ومن هذا الفارق بالذات تتبلور كل معطيات واغنية « الغول » ؛ فهو — أي فايس — لا يهاجم « وضعاً في التاريخ » من خلال قيم عاطفية أو اخلاقية ؛ وإنما عبر تحليل وثائقي وموضوعي لهذا الوضع . بحيث تصبح النتيجة جزءاً من حركة التاريخ ومظهراً من حتميتها لا استنتاجاً اخلاقياً ساذجاً .

إذن ثمة فارق جوهري بين «الشعر الغنائي» وبين هذا الشعر الملحمي الذي يرفض الصراع بمعناه « الدرامي » على مستويه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الميتافيزيكي او النفسي . ان قوى اجتماعية سياسية تتصارع . وهذه القوى كلها ذات هوية زمنية معينة ، اي كلها تاريخية . ومؤدّى صراعها لا ترسمه التمنيات العاطفية ، أو الأحكام الاخلاقية ، او التمزقات النفسية للفرد ، وانما حجوم وطبيعة هذه القوى بالذات .

طبعاً لممثلي مسرحية فايس موقف ؛ فهم يرفضون الاستعمار البرتغالي ؛ لكنهم لا يرفضونه شفقة ، او بمقتضى موقف « ثقافي » متعال ، وانما لانهم جزء من القوى التي تحدد ابعاد هذا الوضع ، ولأن الامر يعنيهم كأفراد وكجماعات . مرة اخرى يتداعى الى ذهني قول سارتر مستطرداً في حديثه عن الفيتنام : انني ادافع عن الفيتناميين في حربهم مع امريكا لانني ادافع عن نفسي . وهؤلاء الممثلون اياً كان جنسهم ، انما يدافعون عن انفسهم ، لانهم يعون هويتهم التاريخية ، كما يعون حقيقة الاوضاع التي يعيشونها ، ويشكلون بعض قواها .. واللحظة التي يختارونها لتقديم لعبتهم ، انما هي لحظة كثيفة يصل فيها هذا الوعي المزدوج ذروته . انها لحظة « المظاهرة » ، حين يصير الوعي « فعلاً » حينئذ تبدأ المسرحية ، فتعرض « رجوعاً » الظروف والعوامل وجملة الاوضاع التي قادت ، وتقود الى هذا « الفعل » .. الى المظاهرة .. أو الى الثورة ...

* * *

وفي سويسرا امام جمهور من البورجوازيين الصغار قدمت هذه المظاهرة استغلت الفرقة كل ما يمكن أن يثير . كل ما يمكن ان يجرح . كل ما يمكن ان يهز . ممثلون مليئون بالحيوية والحرارة .. أدوات بسيطة .. فرقة موسيقية .. وبدأت حقائق الاستعمار البرتغالي تتناثر واخزة ، حادة كالابر . استخدموا الإيماء . استدعوا كل مظاهر الحضارة الاوروبية المعاصرة . ارادوا فعلاً ان يكونوا احتجاجاً على الحقيقة « اليومية » للمتفرج الاوروبي . احياناً كان لا يبدو ذلك متناسقاً ، احيانا كان يبدو غامضاً . لكن

دائماً كان يبدو مثيراً وغير ممل. لم يقفوا عند البعد الاول للمسرحية مكتفين بتقديم الحقيقة الموضوعية كما هي، اي بتقديم « الوثيقة ». وانما نصبوا لعبتهم في البعد الثاني، في « تمثيل الوثيقة » محاولين الافادة من الصدمة، ومن اساليب « الفضيحة » في مسرح « الهابيننغ »

● وسألت مخرج المسرحية فرانسوا روشيه الذي اتيح لي ان اتحدث معه طويلاً بعد عرض المسرحية.

– عمل فايس واضح المضمون، بل ان معطياته عارية. وقد ألححت على الاخراج بحيث انك تخطيت بساطة المضمون، فهل يخدم ذلك اهداف المسرحية في رأيك ؟

وأجاب روشيه :

– نعم.. من ملاحظة اولى يمكن ان نقول ذلك. المسرحية ذات مضمون واضح ومباشر، ومعطياته عارية. ولكن بالنسبة لبيتر فايس نفسه، للمسرحية مستويان. في الاول هناك وثيقة تاريخية موضوعية يتخذمنها موقفاً. وفي الثاني.. الوثيقة التاريخية تصبح لعبة مسرحية. (مسرح داخل مسرح). ولربما كان فايس يفضل تقديم عمله في مستواه الاول. ان تظل وثيقة تفضي الى موقف. ولكن بالنسبة لنا هنا، هل نستطيع ذلك ؟.. ان الوثيقة المباشرة قد تعطي رد فعل عكسي بحيث يتقلص « بورجوازينا » رافضاً الاستسلام لمعطياتها، اولا مبالياً بها. ولذا فقد اخترنا المستوى الثاني. نريد ان نحرك لا مبالاته، وان نصدمه دون ان نجعله يستفز قواه لرفض الصدمة او لتحاشيها. وينبغي الا ننسى، أن الاستعمار البرتغالي، او الاستعمار بشتى اشكاله، وما يتبع ذلك من اوضاع تاريخية فاسدة هو موضوع « محرم » Tabou في المجتمع السويسري. ونظرة الى جرائدنا توضح كم هي عميقة عزلتنا عن موضوعات التاريخ المعاصر الذي يتحرك من حولنا. نتكلم قليلاً عن انغولا، عن الكونغو، عن موزمبيق، عن جنوب افريقيا. باختصار لقد استفدنا من التكنيك

الموجود في « ماراساد »[١] كي نصل الى اهدافنا .

● سألت من جديد :

ـ ألا تعتقد ان في ذلك مصالحة قد تجهض مضمون المسرحية ، او تلقي عليه ظلالاً . أقول ذلك وأنا أفكر بان جوانب الاثارة والتجديد في لعبة الممثلين ، ربما اثارت المتفرج مهملاً او ناسياً القضية الاساسية التي يقدمها العمل . إني افكر ايضاً في فرقة « الليفنغ تياتر »[٢] ، وكيف ان الاستفزاز في الاخراج والتمثيل لديها ، انما يستعملان لتفريغ بعض الاعمال من مضمونها الثوري ، ومنها بالذات اعمال برشت .

(ـ مصالحة قد تجهض مضمون المسرحية ! ولكن ما العمل ؟ فايس . نفسه يضطر للقيام بما تسميه مصالحة . ان مسرحيته غير مبنيـة على المستوى الأول .. « الوثيقة التاريخية » ، بل هو يضاعف المستوى . ان طلاباً يحملون اللافتات يجتاحون المسرح ليقوموا بلعبة تُبسط فيها الوثيقة . اللعبة هي هنا بشكل ما « غلاف سكري » الدواء . برشت قبل فايس ألم يفعل نفس الشيء ! لنتذكر صعوباته الخمس امام قول الحقيقة . وهناك شيء هام ينبغي ان نأخذه بعين الاعتبار . في سويسرا ما من بروليتاريا . طبعا اذا استثنينا الاجانب . هناك بورجوازيون صغار . والبورجوازية الصغيرة في العادة أخطر من التقليدية . ولذلك لابد ان نعتمد على « الاستفزاز » . يجب ان نستفز هذا الجمهور اللامبالي ، يجب ان نصدمه ، ان نجعله يرتطم بالحقيقة الموضوعية لعالم فاسد . وبعض وسائل الهابينينغ قد تكون فعّالة في تحقيق مثل هذا الاستفزاز . الآن الفرق واسع بين عملنا وعمل الليفينغ تياتر ، فهم كما قلت إنما يفرغون الاعمال من مضمونها الثوري

(١) هي المسرحية التي قامت عليها شهرة بيتر فايس .
(٢) Living Theater فرقة أمريكية متخصصة بمسرح العنف والاستفزاز . من اشهر مسرحياتها ، أنتيجونا لبرشت .

على اعتبار ان « الهابينينغ » بالنسبة لهم هو غاية في حد ذاتها . الصدمة هي كل شيء . صدمة من اجل الصدمة . اما نحن ، فهمنا الأساسي هو تبليغ الوثيقة لجمهور سجين في اوضاعه الطبقية دون ان يكون ذلك مباشراً وبالتالي لاجدياً .

وكما قلت ، ينبغي ان نساعد هؤلاء المتفرجين اللاسياسيين والفاقدين لأي وعي اجتماعي او سياسي . سويسرا وضع خاص ، ولابد ان نأخذ ذلك بعين الاعتبار . ومن قبل قدمت هنا مسرحيات سياسية ، لكنها دائماً كانت تقدّم كمسرحيات « المتعة » ؛ او كان الجمهور يكتفي بالجانب الممتع فيها . لقد جاءت فرقة مسرحية كوبية وقدمت (ليلة القتلة) فكيف رآها جمهورنا ؟ لا اكثر من ميلودرام . برشت نفسه يقدّم هنا كمسرح « للسهرة » لا اكثر . وفي احسن الأحوال . . يقول السويسري في نفسه . . هذه اوضاع تخصّ بلاداً اخرى . روسيا بعيدة ، وكوبا تفصلنا عنها محيطات . أترى أن مهمتنا صعبة . نريد ان نجعل الناس يقرؤون الصحف بطريقة اخرى . اذن لابد من سبل جديدة لتقديم التزامنا .

ويقيناً لو كنت سأقدّم المسرحية في بلاد أخرى لاخترت مستواها الاول وأعني الوثيقة ببساطتها وبالنتيجة التي تفضي اليها . في البرتغال مثلاً يمكن للطلاب فعلاً أن يقدموا المسرحية كما يتمنى فايس ، مظاهرة في الشارع تجتاح ساحة عامة ، ثم تتبلور في عرض مسرحي لوثيقة تخزية عن الاستعمار والسلطة) .

ويستطرد الحديث بعدئذ . ويقول فرانسوا متحدثاً عن تجربته المسرحية .

— الآن بعد مسرحية فايس ، استطيع القول بأن عملنا يتبلور وان اتجاهنا يتضح . نسميه مسرحاً مناضلاً . نعم انه مسرح مناضل همه الاساسي ان يساعد مجتمعاً لا سياسياً على الاهتمام بفساد بنائه ، وما يدور حوله في عالم صعب وممزق .

مسرحنا جماعي . فرقتنا صغيرة عدداً ، وهزيلة امكاناتها المادية . لكن

اساس عملنا هو اننا وبشكل جماعي منسجم نطرح مشاكل البيئة التي نعيش فيها ، نناقشها نحاول ان نوضح معطياتها ، وبالتالي ان نتخذ موقفاً منها . لناجمعاً اساس من الوعي مشترك . وموقف سياسي متوافق . وفي عملنا نريد ان نطرح هذه القضايا أو نثيرها .

دوريات ؟ ! (وابتسم) . نعم لقد قدمنا مرة احد اعماله ، ولكن بالضبط لكي ننقذه .

اما التجارب المسرحية التي تقود عملنا فهي طبعاً تجربة البرلينو انسامبل ،وتجربة بلانشوف في فرنسا ، وتجربة البيكولوتياترو في ايطاليا .

يصدر قريباً

الجمال في تفسيره الماركسي

بقلم عدد من الفلاسفة السوفييت

ترجمة : يوسف حلاق مراجعة : أسماء صالح

منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق

توازن القوى
بين العرب وإسرائيل (١)

أمين النفوري

عرض وتحليل : ميشيل كيلو

يمكن تقسيم الاساس الفكري الذي انطلق منه المؤلف في كتابه الى قسمين اساسيين :

آ – توازن القوى بين العرب واسرائيل .

ب – تحليل استراتيجي لعدوان حزيران عام ١٩٦٧ .

واذا كان مفهوم « توازن القوى » لا ينحصر بهذه القوى بالصورة التي لها اليوم ، بل يراعي تطورها واشكالها التي قد تأخذها في المستقبل ، فان دراسة «استراتيجية العدوان» تنطلق من مفاهيم محـــددة حدثت في الماضي . ان «الاستراتيجية» هي قبل كل شيء بنت « القوى » المتوفرة لمجتمع ما ، تخضع لها وتستند اليها وتأخذها بعين الاعتبار اذا كانت تريد ان تكون استراتيجية ناجحة . وعلى هذا الاساس يعتبر الكتاب الذي نقـــدمه للقارىء دراسة كاشفة لاستغلال الصهاينة « لكل » قوام ،

(١) مطبوعات دار الاعتدال للطباعة والنشر – دمشق ١٩٦٨

كما هو دراسة كاشفة « لعجز » العرب عن الافادة من القوى المتوفرة لهم . ان العيب لم يكن اذن في قواهم ، بل في الاستراتيجية التي اتبعوها والتي تتصف اولاً وقبل كل شيء بعدم مراعاتها للجوانب الاساسية والهامة في قوتهم . لهذا يبدأ الاستاذ النفوري بحثه بتوكيد قدرة الجندي والانسان العربيين وكفاءتها وضخامة الامكانات الذهنية العسكرية العربية ، ويبرز تفوق العرب «بالعتاد» كماً ونوعاً ، على العدو ، ويعيد الهزيمة الى اسباب غالبها غير عسكري كعدم « وحدة كلمة العرب وعدم اتفاقهم على سلوك واضح معقول في المجال الدولي ، وعدم الافادة من الامكانات العربية وجهود الشعب العربي الكبيرة ، وعدم وجود تنسيق عسكري عربي جدي قادر على وضع القوى العسكرية العربية في المعركة ، وعدم « تطبيق سياسة استراتيجية او عسكرية صحيحة » ، وضعف التقديرات وقلة المعلومات عن العدو وامكاناته في التدخل » ... الخ .

هذا العجز عن استغلال القوى يجعلنا نفتقد وجود استراتيجية عربية عسكرية وسياسية جدية تستطيع حل المهمات التي تطرحها عملية تحرير فلسطين من الصهيونية . وفي مواجهة هذا العجز العربي تقف قدرة اسرائيل على مطابقة استراتيجيتها مع قواها وامكاناتها ، وهذا ما امن لها النصر السريع الذي احرزته .

بعد الحرب اخذت اسرائيل تركز حملة اعلامية ونفسية هائلة على القوى العربية ، ولم توجه كلمة نقد واحدة للاستراتيجية العربية لانها تعرف حق المعرفة ان زعزعة ايمان العرب بقواهم سيحطم كل امل لهم في خوض المعركة من جديد ، لهذا السبب يركز السيد النفوري على فكرة وجوب استغلال قوانا وصياغتها في استراتيجية تتلافى اخطاء الماضي ، وهو يؤكد ان بامكان الشعب العربي سحق اسرائيل ، كما يؤكد ان بلداً عربياً واحداً يستطيع سحقها اذا ما عمل

على استغلال كل قواه ووضعها في استراتيجية صحيحة . ان اسباب الهزيمة التي حاقت بنا في حرب حزيران ليست طلسماً لا يمكن تفسيره ، بل هي واضحة يمكن فهمها ، وهي لا تعود الى «عبقرية القادة الاسرائيليين العسكرية » كما زعمت دعايتهم ، فما طبقوه في الحرب كان مبادىء يعرفها كل عسكري في العالم ، ولكنها تعود الى التناقض الذي ذكرناه بين القوى والامكانات العربية والاستراتيجية التي اعتمدها العرب . ان انتصار العرب على اسرائيل ليس شيئاً مستحيلا ، كما يقول الغرب واسرائيل . انه ممكن تماماً ، ولكن بشرط ان نستفيد من دروس الماضي ، هذه الدروس التي يعرضها كتاب « توازن القوى » عرضاً مفصلا ، مفهوماً ، وشائقاً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر حديثاً

اسرائيل واقع استعماري

للمفكر الفرنسي مكسيم رودنسون

• ترجمة : احسان الحصني • مراجعة : انطون مقدسي

الثمن : ٧٠ ق س ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق

سياسة اسرائيل الخارجية (١)

تأليف : ابراهيم العابد

قال بن غوريون: «إن رغبتنا الوحيدة هي خلق الظروف الدولية التي ستقوي من أمننا القومي ...». وحدد أبا إيبان مهمة السياسة الخارجية الاسرائيلية بعبارات أكثر صراحة فقال: «إن اسرائيل لم تكن مجرد مشكلة عالمية مستعصية، وإنما هي واقع اجتماعي مستقل، ويجب أن لا ينظر اليها بالتالي كأحد عناصر النزاع العربي – الاسرائيلي، بل كوحدة سياسية لها قيمتها الخاصة وآراؤها التي تعمل بنشاط على المسرح الدولي». إن هدف السياسة الاسرائيلية الخارجية هو إذن «خلق الظروف الدولية» التي تساعد اسرائيل على التغلب على عقدة نقصها الناتجة عن كونها مولوداً شاذاً قائماً في منطقة لا تستطيع تقبله او تفهم وجوده. لذا يمكن تلخيص اهداف السياسة الاسرائيلية الخارجية بما يلي :

أ – تثبيت وضع اسرائيل.

ب – ضمان أمن اسرائيل.

(١) منشورات منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – دراسات فلسطينية رقم ٣٣ بيروت ١٩٦٨.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج ـ الاتصال بيهود العالم لدفعهم الى الهجرة الى فلسطين .

د ـ تثبيت وضع إسرائيل الاقتصادي .

هـ ـ تبرير النزعة العدوانية العسكرية لاسرائيل .

و ـ الحيلولة دون عزلة اسرائيل عالمياً .

ان السياسة الخارجية لاسرائيل هي سياسة صهيونية قومية تماماً ، وهي الجهود التي تبذل في الخارج لتحقيق مجموع الأهداف التي ترتبط ارتباطاً كلياً ووثيقاً بالوجود الصهيوني الاستعماري على أرضنا العربية ، وهي لذلك من القضايا ذات الأهمية البالغة بالنسبة للدولة الصهيونية ، لوجودها ، وإمكانية استمرارها وتنفيذ مخططاتها التوسعية . ان السياسة الخارجية لاسرائيل لاتلعب دوراً بارزاً في تأمين الأصدقاء فقط ، بل هي عنصر حاسم وعام في حماية وجودها كذلك ، خاصة وان اسرائيل ليست سوى امتداد للامبريالية العالمية في الوطن العربي والعالم الثالث . إنها ، بهذه الصفة مضطرة لصياغة سياستها الخارجية على محورين :

١ ـ تأمين ارتباطها بالامبريالية بصورة مستمرة ووجودية .

٢ ـ تأمين ارتباطها بالعالم الثالث كمجال لتحقيق طابعها الامبريالي الاستغلالي ، ومن أجل قيامها بدورها كقاعدة متقدمة للرأسمالية ، باعتبارها أداة للثورة المضادة .

بهذه الوضعية ، ولأهمية السياسة الخارجية الحياتية ، توجد اكثر من مؤسسة رسمية وشعبية تسهم في صياغة هذه السياسة :

أ ـ رئيس الوزراء

ب ـ وزارة الدفاع

جـ ـ الحكومة بكاملها

د ـ الكنيست

هـ ـ المنظمة الصهيونية العالمية

و ـ الهستدروت

ARCHIVE

بعد تحديد هذه الملامح البارزة للسياسة الخارجية الاسرائيلية ، يعرض الكتاب تاريخ وزارة الخارجية الصهيونية ونشاطاتها وفشلها ونجاحها ، كما يقدم كشفاً بعدد البلدان التي تتبادل التمثيل الدبلوماسي مع إسرائيل .

العدوان الاسرائيلي [1]

في الأمم المتحدة

تأليف : الدكتور جورج ديب

يستعرض الدكتور ديب في كتيبه – الذي يقع في حوالي ثمانين صفحة – الاحداث التي سبقت العدوان الصهيوني في حزيران من عام ١٩٦٧ ، ويفند مزاعم العدو الصهيوني والولايات المتحدة وتوابعهما قانونياً بشأن انسحاب قوات الطوارىء الدولية من سيناء وحول مسألة حق مصر في اغلاق خليج العقبة ومضائق تيران في وجه الملاحة الاسرائيلية ، ثم ينتقل المؤلف الى متابعة القضية العربية في اروقة الامم المتحدة ومجلس الامن فيظهر مختلف الوجوه التي اتخذتها او اعطيت لها ، كما يتابع التطور الذي قاد الى قرار مجلس الامن في ٢٢ تشرين الثاني ، وهو القرار الذي اعتبر فيما بعد اساساً لحل الازمة التي نتجت عن العدوان حلاً سلمياً .. ويتابع الدكتور ديب مختلف مشاريع القرارات التي قدمت للهيئة الدولية حول حل النزاع العربي – الاسرائيلي مظهراً ان مسألة انسحاب القوات الاسرائيلية

(١) منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – دراسات فلسطينية رقم ٣٤ – بيروت ١٩٦٨ .

حظيت بإقرار وإجماع دوليين ، وان الولايات المتحدة هي التي عرقلت تطبيق هذه القرارات ، بعد ان ميعتها وصرفت الانظار عن المشاكل الاساسية التي طرحتها الازمة . ويتضمن هذا الكتيب القيم جملة من الوثائق الهامة لفهم الظروف التي تعمل بها المؤسسات الدولية والعوائق التي توضع في وجهها وتمنعها من ان تكون بمستوى المسؤوليات الجسام التي تطرحها عليها قضايا العدوان والحرب .

في الكتيب فضلاً عن ذلك براهين تثبت ان اسرائيل لا تفكر بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة وانها لا تقيم وزناً للقرارات الدولية إلا اذا تطابقت مع مصالحها ونواياها ، كما يتضمن تحليلاً للقرار البريطاني ولمهمة الدكتور يارنغ .

من التخلف
الى التطور الاشتراكي في القطاع الزراعي
تأليف الدكتور صلاح وزان
دراسة عميقة وجديدة لمعضلات التخلف
الزراعي وتقديم الحلول لها
نشر ـ وزارة الثقافة ـ دمشق
يطلب من جميع المكتبات في البلاد العربية

أضواء على الاعلام الاسرائيلي (١)

تأليف : د. منذر عنبتاوي

دلال حاتم

لماذا وقف الاعلام العربي الى جانب اسرائيل ؟ ماهي اسباب التعاطف مع اسرائيل لدى قطاعات واسعة أو ضيقة في اقطار اوربة الشرقية وآسيا وافريقية واميركا اللاتينية ؟ لماذا غاب الاعلام العربي في هذه الاقطار ولم يستطع الوقوف في وجه الاعلام الصهيوني ، ودحض مزاعم الصهيونية في الوطن العربي ؟

في هذا الكتاب يلقي الدكتور منذر عنبتاوي اكثر من ضوء على الاعلام الصهيوني ، ويعطي صورة شاملة عن هذا السلاح الذي نجحت اسرائيل في استخدامه في سبيل ايجاد كيانها أولاً ، ثم في سبيل توسيع رقعة هذا الكيان وحمايته ثانياً .

بدأ الاعلام الصهيوني بعد انعقاد اول مؤتمر للصهيونية في مدينة بال بسويسرا

(١) منشورات منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الابحاث ؛ دراسات فلسطينية - ٣١ - بيروت ١٩٦٨ .

عام ١٨٩٧ ، ولم يقتصر في التحدث الى اليهودية العالمية ، بل انه تحدث ايضاً الى الاوساط الدبلوماسية العالمية من اجل الحصول على تأييد فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين .

ويلاحظ أن الاعلام الاسرائيلي يقوم على سياسة « كسب الأنصار » ونعني بذلك الدراسة العلمية للاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للبلاد التي ستوجه اليها . ومن هنا نرى أن الاعلام الاسرائيلي في أوربا وامريكا هو غيره في الدول الاشتراكية ، ويختلف عما هو متبع في افريقيا .

الاعلام الاسرائيلي يتحدث الى شعوب امريكا ، بلغة الشعب المظلوم الذي تحمل فظائع النازية ، وان الحل التاريخي الوحيد لهذه المشكلة هو في قيام دولة اسرائيل التي هي ضرورة غربية « ديموقراطية » في الشرق العربي . أما بالنسبة لدول أوربا الشرقية ، فان الاعلام الاسرائيلي يسير على خطة الاحتفاظ بتأييد هذه الدول لاسرائيل واعادة العلاقات الى سابق عهدها ، أو على أقل تقدير تخفيف المساعدات التي تقدمها هذه الدول للبلاد العربية . وجعلها تتخذ موقف الحياد في النزاع العربي الاسرائيلي .

أما في افريقيا ، حيث لا يوجد اعلام عربي في هذه القارة ، فان الاعلام الاسرائيلي يؤكد على الروابط الوثيقة التي تربط بين الشعبين اليهودي والافريقي كشعبين مضطهدين ، وعلى وحدة التجربة التاريخية والنفسية لكل منهما .

« ان افريقيا ، في نظر اسرائيل والشعب اليهودي ، لا تشكل جزءاً رئيسياً من العالم فحسب . ولكنها تشكل رمزاً للتطلع نحو المساواة ، ونحو رفض ذلك التمييز وتلك التفرقة التي تزدحم بها صفحات التاريخ اليهودي . اننا نشعر بتقارب روحي وعاطفي قوي مع شعوب افريقيا في نهضتها وسيرها على طريق الاستقلال »(١) .

(١) من خطاب لغولدا ماير أمام الكنيست في ٤ / ٣ / ١٩٦٣ .

ثم ان اعلام اسرائيل لايقتصر على الدول ، بل يمتد الى الافراد . فقد دعت اسرائيل في عام ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ - ١٥٠٠ شخصية رسمية ، بالاضافة الى شخصيات تتوافر فيها مؤهلات تجعلها ومآلما شخصيات مرموقة ذات مكانة ونفوذ في بلدها .

وكنموذج لمردود مثل هذه الضيافات . الحديث الذي أدلى به رئيس وفد اتحاد العمال التركي اثناء زيارته لاسرائيل عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ ، وبعد ان وقفت تركيا الى جانب الشعب العربي .

« انني اعتذر عن أي برود يمكن ان يكون قد أصاب العلاقات بين البلدين . ان البحر الابيض وحب السلام يجمع بين تركيا واسرائيل » (١) .

ولم تنس اسرائيل اهمية الاعـــلام الثقافي فقامت بترجمة بعض الاشعار والاعمال الادبية لبعض زعماء العالم النامي الذين تربطهم صداقات مع اسرائيل ، ولا يخفى مالهذا العمل من نتائج في تنمية العلاقات وزيادتها .

ومن جملة الاعلام الاسرائيلي ، اقامة دورات تدريبية لشبان يأتون من الدول النامية اليها ، أو ارسال الفنيين الى هذه الدول وذلك للاحتكاك بأكبر عدد ممكن من ابناء هذه البلاد . وتهتم اسرائيل بهذه الوفود التي تأتي إليها اذ انها تضم شباباً مؤهلين لنيل مراكز مرموقة في بلادهم ، ويمكنها ان تخلق الحوار معهم وجهاً لوجه .

وماذا عن قصور الاعـــلام العربي وغيابه داخلياً وخارجياً على المستوى العربي والمستوى العالمي ؟ ماهو السر في التأييد الذي نالته اسرائيل من العالم الغربي وبقية انحاء العالم ؟ هل من المعقول ان تكون كل هذه الملايين من ابناء العالم عملة للاستعمار والصهيونية ؟

يرى المؤلف ان السبب في موقف هذه الدول من القضية العربية يكمن في غياب الاعلام العربي بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ . وان السبب في غياب الاعلام العربي خارجياً يعود الى غيابه على مستوى

---

(١) جيروزاليم بوست ٣ / ١ / ١٩٦٨ .

العالم العربي لغياب القيادة والكادر المتفرغين للعمل الفلسطيني على المستوى الرسمي وغير الرسمي، ولافتقار الاعلام العربي الى ثلاثة عناصر رئيسية.

١ - قيادة ذكية متفانية وكادر متفرغ للعمل ومؤمن به.

٢ - وضوح في الهدف.

٣ - خطة تنفيذية قائمة على الدراسة والعلم.

ان غياب العمل العربي الجاد انعكس على الاعلام الداخلي، وبدا هذا واضحاً في مظاهر التثقيف العربي المرتجل الذي ظل يؤكد طيلة عشرين عاماً وبنفس واحد على حق العرب التاريخي والقومي في فلسطين من ناحية، وعلى دور الاستعمار القديم في خلق اسرائيل من ناحية ثانية.

لقد فشل الاعلام العربي في وصل الحاضر بالمستقبل، وفشل بالتالي في اطلاع المواطنين على ماتتطلبه معركة التحرير من تضحيات وجهود. ويجب ألا ننسى ان غياب الاعلام الداخلي أدى الى غياب الاعلام الخارجي، لارتباط الاثنين معاً، ولانه لا يمكن للاعلام الخارجي ان يبدأ من فراغ او ينتهي من فراغ.

اخيراً ينتهي المؤلف الى بعض المقترحات بشأن مستقبل الاعلام العربي، وتحديد الاهداف التي سينطلق باتجاهها، والاشخاص الذين سيعملون في اطاره، ليكون اعلاماً على مستوى القضية ينطلق الى هدفه الصحيح بطريق صحيحة.

أبطال وأمجاد (1)

تأليف : عدنان الداعوق

عرض : ظافر عبد الواحد

عز على الكاتب السوري عدنان الداعوق أن توجز كتب التاريخ ثورة مدينته حمص على الاستعمار الفرنسي ، فمضى الى المجاهدين والمجاهدات الذين مازالوا على قيد الحياة يسألهم قصة الثورة . فكان هذا الكتاب الذي يقدم لنا صورة عن ثورة حمص في إطار الثورة السورية سنة ١٩٢٥ .

يبدأ الكتاب بلمحة تاريخية عن احتلال القوات الفرنسية لسورية ، ثم يصف بداية الثورة التي بدأت في محافظة السويداء وامتدت الى غوطة دمشق وجبال القلمون وحمص وحماة ، ويقدم لمحة موجزة عن معارك المزرعة والمسيفرة والغوطة وحماة والنبك التي انتهت بقصف المدفعية لمدينة دمشق .

---

(١) مطبعة الأندلس – حمص – سورية – الطبعة الأولى ١٩٦٨

ويقدم لنا الكتاب صوراً من نضال حمص التي قرر ثوارها أن تكون هجماتهم موجهة لمراكز الشرطة والثكنات العسكرية لتأمين السلاح ثم الإحتماء بالبيوت والبساتين حول المدينة .

عندما قامت الثورة في حمص تبناها المجاهد عبد الفتاح النشواتي شقيق المجاهد المعروف نظير والمجاهدة نظيرة. واشترك ثوار حمص في معارك النبك والهرمل .

وكان أول عمل قام به الثوار في حمص إقتحامهم مكان التوقيف الذي يجتمع فيه الضباط الفرنسيون . وبينما كان بعض ثوار حمص في طريقهم للانضمام الى ثوار الهرمل ، قام بعض الخونة في قرية «خربة غازي » باختطاف بعض الثوار الذين أعدموا رغم إستنكار معظم سكان القرية . ولكن نظير النشواتي أستقف بعد إعدامه .

وحاول خيرو الشهلا – وهو لم يتجاوز العشرين من عمره – شقيق الشهيد سعيد الشهلا ، أن ينضم الى الثورة ، ولكن نظير النشواتي إشترط عليه ان يقوم بعمل بطولي قبل ذلك . فقام خيرو الشهلا بقتل محافظ حمص فوزي المكي الذي كان يتعاون تعاوناً وثيقاً مع السلطات الاستعمارية .

ويصف الكتاب معركة كفر بطنا في غوطة دمشق التي إشترك فيها الثوار الحمصيون ، كما يصف أشهر معارك حمص - ومنها واقعة (صنوفي) حيث حوصر الثوار في بيت عبد الواحد صنوفي واستطاعوا فك الحصار وتكبيد العدو خسائر فادحة .

وعندما قامت قوات الاستعمار باعتقال نساء الثوار ، قام هؤلاء باعتقال كوليه قائد الحملة الفرنسية في حمص وحماة ، الذي تعهد بإطلاق سراح النساء وبر بوعده .

ويصف الكتاب واقعة (سياط بيت القاضي) وواقعة (حي الفاخورة) في مدينة حمص واستشهاد عبد الفتاح النشواتي وانتقام الثوار .

ويبين الكتاب أن الثورة كان لها

بعدها الاجتماعي الى جانب البعد القومي. كما يصور التعاون بين الثوار والمطران أفرام برصوم.

وبعد أن يشرح مصادر تمويل الثورة، بصيغتها عام ١٩٢٨ باستشهاد نظير النشواتي.

الكتاب دراسة ثمينة لفترة تاريخية هامة من النضال القومي التحرري في واحدة من مدن سورية، يضاف الى مجموعة الدراسات الماثلة عن نضال المناطق السورية الأخرى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يصدر قريباً

تاريخ خليفة بن خياط

القسم الثاني

رواية بقي بن مخلد

تحقيق: سهيل زكار

أقدم تاريخ إسلامي بعد تاريخ ابن اسحق، وهو من مصادر تاريخ الطبري

سلسلة إحياء التراث القديم

وزارة الثقافة — دمشق

شموع على الطريق

تأليف : محمد الصباغ

عرض : ظافر عبد الواحد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في المغرب نهضة أدبية تحاول تكوين مدرسة مغربية . والاستاذ محمد الصباغ رئيس قسم الدراسات العربية بالمركز الجامعي للبحث العلمي في الرباط ، يدافع في (شموع على الطريق) ، بالنثر الفني عن شرف الكلمة تارة تصريحاً . « الصمود في سبيل المبدأ والحقيقة ، شرعة الفكر ، انتصاراً لكرامة انسانية الانسان »[1] وتارة تلميحاً « الخبز الابيض المضرج بالذل لا يسمن . ألا لقمة سوداء معجونة بماء وملح الكرامة تسمنك وتغنيك »[2] .

وهو يعبر عن البحث بقوله : « منذ اجيال واجيال ، أضعت شيئاً نفيساً وعزيزاً علي بين طيات بياض الورق ما زلت اجهله . اراني كل صباح منكباً على الورق ابحث عنه . ترى هل سأعثر عليه ؟ »[3]

---

(١) شموع على الطريق — الدار التونسية للنشر ١٩٦٨ ص ٨٢

(٢) ص ٦٦ (٣) ص ٣١

وهو يرى أن لكل مخلوق دوره في الحياة من الخنفساء الى الفنان :

«لولا الخنفساء لما انتظم سلك عشيرة الدواب» [1]

«بمجرد ما تولد النحلة تنقب في الهواء عن طريقها الى الزهور»

«عندما يغرس الفلاح بذوره في طيات التراب، يغرس بذور اهدابه في طيات السماء [2]»

«بلد ينذر فيه الشعراء والفنانون، يسأم فيه الربيع ويشقى» [3]

ولكنه عندما يبحث عن العلاقة بين الممثل الدبلوماسي والممثل المسرحي يجردهما من دورهما ويركز على المظهر :

«ترى، ماهي العلاقة التي تربط الدبلوماسي بالممثل المسرحي؟ الجواب للمرآة : المكياج» [4]

ولعله يريد أن يقول إن الدبلوماسي يخفي آراءه كما يخفي الممثل وجهه.

بقي أن نعرف أن «شموع على الطريق» هو مجموعة افكار متفرقة، قدم المؤلف كل فكرة منها في سطر او بضعة سطور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(1) ص ٣٠
(2) ص ٣٠
(3) ص ٩
(4) ص ٥١

رياح كانون (١)

تاليف : فاضل السباعي

عرض : عدنان بن ذريل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخيال ، والواقـــع ، والإمكان موضوعات أصولية يحتاج اصطناعها في الأدب الروائي ، او معالجتها فيه ، الى حذر ، وحيطة . .

والروائيون اليوم يتهاونون في امرها ؛ فيجيزون الخيال في رواياتهم ، أو يتعدون الواقع ، والامكان على السواء . . وذلك ، في الغالب ، بفعل نظرية الفن للفن ، التي لاتزال تزن على النفوس والأقـــلام في الأدب الروائي السوري العربي المعاصر ، والحديث . .

وهذه الرواية الانتقادية الجديدة : (رياح كانون . .) ، للقاص ، والروائي السوري (فاضل السباعي) ، لم تنجُ بالفعل من آثار نظرية الفن للفن ، التي ظلت تطبعها بطابعها ؛ كما أنها لم تنجُ

(١) منشورات دار اليقظة العربية ببيروت ، ودار القصـــة بحلب ؛ الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٨ ، ٤٤٨ صفحة .

من محاذير اصطناع الخيال ، أو تجاوز الواقع ، والامكان ..

ان المؤلف السباعي يصرح في صفحاتها الاولى بأن كل محاولة لربط شخوص الرواية بشخوص من الواقع ، أو حوادثها بحوادث من الواقع جهد مضيع .. وان التشابه اذا وقع في ذلك هو محض مصادفة : وانها اذن من صنع الخيال ، كما سبق أن صرح بذلك ..

ولكن هل يكفي الخيال الأدبي المبدع ، لإيجاد ادب روائي جيد ، يحقق مايبغيه الكاتب من غايات فنية ، وانتقادية ؟!.

نقاد الأدب يجيزون اصطناع الخيال في حدود الإمكان ، أي في حدود مايمكن وقوعه للإنسان ، لإذكاء العمل الروائي ، أو تزيينه ، شريطة المعقولية ، أي عدم الوهم ، والاغراب ..

فهل تقيدت هذه الرواية الانتقادية التي اصطنعت الخيال بالمعقولية الانسانية ؟! أم أنها بالأحرى خيال روائي ، انتقادي ، فيه تطرف ؟!..

موضوع الرواية ، إذا جاز لنا أن نوجزه للقارىء في أسطر ، هو : تصوير حالة الحية النفسية ، والخلقية ، التي يصاب بها ، بشكل فجائي ، بطل الرواية (رامي حسام الدين) ، وهو من طبقة متوسطة ، اثر مكاشفة صديقته ، وتلميذته البطلة الثانية في الرواية (لبنى آل الأمير) وهي من طبقة غنية ميسورة ، ومترفة برفضها الزواج منه ، وتحررها في مسائل الجنس ، أو تحللها من القيم الخلقية ..

ذلك هو الموضوع التحليلي الإنتقادي في الرواية ، في خطوطه العريضة ..

وليس ينكر أن المؤلف (فاضل السباعي) وفر له أجواءه النفسية ، والاجتماعية ؛ فصور حركات النفوس ، وظروف المجتمع ، ودوافع الأفعال ، والأقوال ، بما يعتبر كسباً للأدب الروائي السوري ، والعربي الحديث ، والمعاصر .. ولكنه في الحقيقة ، باصطناعه الخيال ، كان فيها مع الفن ، اكثر من كونه مع الواقع ، أو مع الامكان الإنساني ..

وفي نظرنا يجب أن لا يُغري وصفٌ للوصف ، أو سَردٌ للسرد ، أو تحليلٌ للتحليل باللغو في القول ، أو التوهم في السرد ، والتصوير .. كما يجب التقيد قدر المستطاع بالواقع ، والإمكان ، من اجل التبصر بالظروف والدوافع ..

وإذن ، التطرف في أوصاف الرواية ، وتحليلاتها سببه اصطناع الخيال في غاية فنية .. إن المؤلف الساعي يريد أن يصدم وُجدانَ القارىء بسرده ، وانتقاده ، أو يستثيره بأوصافه ، وتحليلاته ؛ فغالى في قسم منها ، وجافى الواقع ..

أما هذه الاوصاف ، والتحليلات فقسمٌ منها استطراد صريح ؛ بل حشو صريح يمكن تقنينه ؛ مثل الاستطرادات المختلفة التي تتكرر في فصول عدة عن عائلة رامي حسام الدين ، ووالده ، واخوته ، مع الوقوف على حال كل فرد منهم ؛ أو الاستطرادات الى سرد حكايا جانبية عن أصدقاء رامي حسام الدين ..

والقسمُ الثالث ، في نظرنا ، وهو الذي يصطدم فيه بطلا الرواية بواقعها ، ويتكاشفان ، مركَّزٌ ، وموجَزٌ ، على غير ما يتوقعُ القارىء .. وكان يمكن توسيعُ القول فيه لاستنفاد طاقات التحليل الضروري ، والأساسي فيه ؛ في حين أن القسمين الأولين من الرواية طويلان ، يمكن الاستغناء عن فصول عدة فيها ..

وإذا قارنا هذه الرواية (رياح كانون) ، برواية (ثم أزهر الحزن) ، للمؤلف الساعي نفسه ، وهي تصويرٌ قطاعي لاسرة نسوية كادحة في الحياة ، وجدنا أن مأخذ البناء وتناسقه وارد فيها .. إلا أن الفن هنا مغاير .. وذلك ان الموضوع الإنتقادي التحليلي النفسي والإجتماعي هنا قنن العمل الروائي الى جهة التشويق ، والترويق ..

وقد جاءت هذه الرواية الجديدة ، بالفعل ، من نمط الرواية التقليدية ، أي السردية التحليلية ، التي تريد ان تكون قطاعية وصفية ..

وهذا الأسلوب السردي التحليلي

التقليدي تعدينا اليوم الى اساليب اكثر قرباً من الواقع، والإنسان الحديثين، والمعاصرين ..

ولذلك حق لنا أن نتساءل: ألم تظل الروايــة فناً للفن، رغم انتقادها الصريح ؟!. ورغم اوصافها المستقيمة للمحيط، والظروف ؟!. وكان باستطاعة المؤلف على العكس تقنين ذلك كلـه، من اجـل التقرب من الواقـع، والإنسان ؟!.

يصدر قريباً

عن وزارة الثقافة ـــ دمشق

سلسلة تبسيط العلوم

بيت الانسانية الكبير

بقلم جماعة من العلماء السوفييت

ترجمة : عماد حاتم   مراجعة : يوسف الحلاق

الكون ـ الأفـلاك ـ حياة الأرض

الكوكب المائل ـ القارات والمحيطات

ARCHIVE

زكي الارسوزي :
في مطلع تموز المنصرم ، فقدت العروبة علماً من أعلام الفكر : الاستاذ زكي الأرسوزي .

وقد ولد الفقيد في اللاذقية سنة ١٨٩٩ ، ونشأ في انطاكية حيث ارتبط اسمه بالكفاح العربي في لواء اسكندرون للابقاء على عروبته ، وذلك في فترة الانتداب الفرنسي . ذهب الارسوزي الى اوربا ليتزود من الثقافة الحديثة وليحمل سلاح المعرفة الذي يمكنه من أداء الرسالة القومية التي كانت تنتظره .

وفي كلية الآداب (السوربون) بباريس عكف على دراسة الفلسفة والمشكلات الفلسفية التي كانت قوام تفكيره كله ولكنه كان الى جانب الفلسفة يشبع نهمه بكل ماتصل اليه يده من تاريخ الحركات القومية في اوربا .

وعاد الى لواء الاسكندرون ، وعين مدرساً للفلسفة في المدرسة الثانوية بأنطاكية .

وهاله أن يرى الانتداب الفرنسي

يكبل بلده بكل أنواع القيود ويحرمه من نسمة الحياة . ووراءه هذا التناقض الصارخ بين ماتعلمه في جامعة باريس ، وبين مايراه في بلده من عسف . فاذا هو يبدأ عمله الثوري في اللواء ، يجمع حوله المثقفين ويشعل فيهم نار الثورة ، ثم ينزل الى جماهير الشعب . وما هو إلا عام أو عامان ١٩٣٦ – ١٩٣٨ حتى كان اللواء بشبابه المثقف ، بطلابه ، بعماله ، بفلاحيه ، برجاله ونسائه وحتى بأطفـــاله الصغار صرخة واحدة تهدر وراء قائدها الشاب الثائر زكي الأرسوزي : العرب أمـــة واحدة – الوطن العربي وطن واحد – لاحدود ولا حواجز . لقد عاد العرب الى التاريخ من جديد ليفتحوا صفحة جديدة في تاريخ الانسانية .

بهذه المفاهيم الواسعة الكبرى انطلق الأرسوزي بثورته العربيـــة في اللواء السليب . وراح يفتح عيون الجماهير على حقيقة الأمة العربية التي كانت تواجه أخطر الوان الاستعمار والتجزئة في ذلك العهد .

وقد تآمرت قوى العدوان على ثورة زكي الأرسوزي في اللواء الذي قدمه الاستعمار هدية سائغة الى تركيا ؛ وهاجر « الأستاذ » الى حلب ومنها الى العراق ثم عاد الى سورية شعلة من عقيدة و كفاح لاتهدأ . وزاد تلامذته في مدن سورية والعراق ، وامتدت دعوته الى كثير من المثقفين العرب . ولمس الانتداب الفرنسي خطر هذه الدعوة ، فلاحق الأرسوزي واضطهده وأراد أن يحرمـــه من لقمة العيش ، وأقام الأستاذ مع تلامذته في بيت صغير في دمشق .

لم يتفرغ للكتابة الا قليـلاً . كان موضوع ايجاد فلسفة قومية عربية هو الشاغل الاكبر لتفكير الارسوزي ، وقد تجلت محـــاولاته في عدة كتب أصدرتها له دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بدمشق ، تحت عنوان كبير (بعث الامة العربية ورسالتها الى العالم) وطبعتها في ستة كتب هي :

الرسالة الأولى : المدنية والثقافة

الرسالة الثانية : اللغة والفن
الرسالة الثالثة : الفلسفة والأخلاق
الرسالة الرابعة : الدولة والامـة والاسرة
الرسالة الخامسة : التربيـة وتنظيم الحياة العامة
الرسالة السادسة : العرب والانسانية

وتستعد مجلة « المعرفة » لإصدار عدد خاص عن الفقيـد الأرسوزي ، يتضمن دراسات وبحوثاً لمختلف جوانب هذه الشخصية العربية الفذة ؛ كما تستعد جماعة من المثقفين لجمع آثار هذا المفكر المناضل – ماطبع منها وما زال مخطوطاً حتى الآن – تمهيـداً لطبعها كلها في مجلد واحد .

مصطفى الشهابي :

من حق الوفاء لفقيد العربية الكبير المرحوم الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق أن نذكر بعض آثاره التي خلفهـا في سبيل اعلاء شأن اللغة العربية .

ولد الأمير مصطفى الشهابي في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٣ في قضاء حاصبيا ، أحد الأقضية السورية التي ضمت الى لبنان فيما بعد ، وتوفي في بيروت في ١٥ أيار (مايو) ١٩٦٨ .

كان أول ما اشتغل به العالم مصطفى الشهابي تيسير نقل المصطلحات في علمي الزراعة والحيوان ، فوضع فيها مصطلحات تعد بالألوف وردت في مقالاته الكثيرة، التي نشرت في أمهات مجلات العصر . كمجلتي الهلال والمقتطف في القاهرة ، ومجلات مجامع اللغة العربية في دمشق وبغداد والقاهرة ، كما وردت في مؤلفاته المشهورة وأهمها :

١ – معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية .

٢ – معجم المصطلحات الحراجية بالانكليزية والفرنسية والعربية ، وقد اشتمل على ألف مصطلح .

٣ – كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، وهو مجموعة بحوث عميقة في أسرار اللغة وتطورها .

ومن آثار الأديب مصطفى الشهابي كتاب (الشذرات) الذي صدر في بيروت سنة ١٩٦٦ ، وقد ضم مقالاته ومحاضراته في الأدب الصرف وبحوثه التي تتناول كيان اللغة وتجاوبها مع النهضة الحديثة وتأملاته الفلسفية والعلمية .

واتصل الباحث الاجتماعي مصطفى الشهابي – عن طريق مؤلفاته ودراساته القومية والتاريخية ذات المنحى العلمي والاجتماعي – بجماهير الواسعة عندما طرح مؤلفيه : (تاريخ الاستعمار) في مجلدين ، و (محاضرات عن القومية العربية تأريخها وقوامها ومراميها) في مجلد واحد .

ونشرت مجلة « المعرفة » في العدد / ٥٩ / (كانون الثاني – يناير) ١٩٦٧ ، التقرير الذي رشح فيه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية الفقيد لنيل جائزة الدولة التقديرية للآداب والعلوم الاجتماعية لعام ١٩٦٥ .

ذكرى شاتوبريان :

يبدأ الاحتفال في هذا الصيف بذكرى مرور مئتي سنة على ولادة الكاتب الفرنسي (شاتوبريان Chateaubriand) ، الذي ولد في ٤ أيلول (سبتمبر) ١٧٦٩ في (سان مالو) . وسيفتتح معرض في دار الكتب الوطنية في مدينة (فالي أولو) يضم آثار شاتوبريان ومخطوطاته، بينما يفتتح معرض عن طفولته في (سان مالو) مسقط رأسه ومثواه الأخير .

ARCHIVE

مقالب الناشرين والنقاد :

قام محررو مجلة (باردون Pardon) الأدبية في فرنكفورت بدعابة رائعة . فقد نسخوا على الآلة الكاتبة أحد الفصول الرئيسية من رواية الكاتب الالماني الشهير (موسيل Musil) وعنوانها (الإنسان الذي لا صفة له L'homme sans qualité) بعد ان أبدلوا فقط اسماء أبطال الرواية الاصلية بأسماء اخرى. واخترعوا اسم (بوب هنسن Bob Hansen) مؤلفاً لها ، بدلاً من اسم موسيل ، وبعثوا بالنص ، مع رسالة من

الكاتب الناشىء (هنسن) ، الى ستة وأربعين ناقداً وناشراً . لم يتعرف أحد من هؤلاء على نص (موسيل) ، ورفضوا جميعاً – باستثناء واحد فقط – نص (هنسن) المسكين .

واعتذر مدير دار النشر المعروفة (سهر كامب Suhrkamp) عن عدم نشر هذه الرواية مدعياً بأن هذا النثر لا يمكن ان يدخل في إطار أي من مطبوعاته .

أما ناشر كتب (موسيل) الحقيقي فقد أعاد المخطوطة باشمئزاز .

وأجاب الناقد الأدبي المتخصص بنقد آثار موسيل ، وهو (روبرت نيومان Robert Neumann) ، أجاب الكاتب « هنسن » بقوله : «ان جملك طويلة وسيئة الإنشاء ... اكتب بصورة طبيعية لتقبض لكتابك النشر» . والناشر الوحيد الذي قدر النص ، اعتذر عن عدم تمكنه من نشره ، وأحاله الى ناشر آخر .

تاريخ المخدرات :

صدر عن دار (تشو Tchou) في باريس كتاب (تاريخ المخدرات Histoire de la drogue) في ٣٢٠ صفحة لجان لويس برو Jean Louis Brau ، تحدث فيه بدقة عن جميع المنتجات التي يستعملها الناس لينسوا بها ما في اعماقهم من اختلال ويقول المؤلف إن ثمة أكثر من مليار . شخص مدمنون على تعاطي المخدرات التي يحاولون بواسطتها ان يحصلوا على النشوة . ويرى المؤلف ان لتعاطي المخدرات أصولاً تاريخية مقدسة ، لأنه يسبب لدى الاشخاص جواً من الهوس .

ويلاحظ أن الناس في العصر الحديث يحاولون ان يحصلوا على جو شبيه بذلك كما أبانت التجارب التي أجريت على تعاطي مادة الـ L. S. D في الولايات المتحدة .

ومما يكشفه المؤلف في كتابه ان باستطاعة الإنسان ان يخدر نفسه بأية وسيلة كانت . فهناك أشخاص توصلوا الى ذلك بتعاطي الديناميت ومواد اللصق الناشئة عن المواد المطاطية ، بل إن هناك من تمكنوا من الحصول على النتيجة ذاتها بفضل الماء . ويبدو أن إدمان شرب الماء

بكميات كبيرة جداً له مفعول شبيه بمفعول تعاطي المخدرات .

بيتر فايس في فيتنام :

اصدرت دار النشر الفرنسية « سوي Seuil » الكتاب الذي وضعه الكاتب المسرحي الالماني بيتر فايس Peter Weiss وعنوانه (رد على جونسون حول القصف المحدود Réponse 'a Johnson sur les bombardements limités) . وكان (بيتر فايس) قد أمضى ثلاثة اشهر في فيتنام ، وانتهت زيارته لها في ٢١ حزيران (يونيو) الماضي . وهو يصف في هذا الكتاب العمليات الحربية وقصف فيتنام الشمالية والجنوبية بين نيسان وحزيران (ابريل ويونيو) ، ويعلق على هذه العمليات .

أميركا تختطف الاختصاصيين :

في نطاق خطة الولايات المتحدة الرامية الى « افقار » بلاد العالم الثالث وسرقة اختصاصيه قررت هذه الدولة منح ٤٨ الف طبيب ومهندس وباحث علمي تأشيرات دخول واجازة عمل في الولايات المتحدة خلال هذه السنة والسنتين المقبلتين . وقد اشار الكاتب السوفيتي (بليتسكي) الى ان الولايات المتحدة قد اجتذبت في سنة ١٩٦٧ فقط اكثر من ٣٢٢٣ اخصائياً من الهند ، واكثر من ٢٢٩٠ اخصائياً من الفلبين ، وعشرات الالوف من دول آسيوية اخرى .

تنظيم ضد الامبريالية والعنصرية :

اتخذت رابطة الطلبة ، التي يقودها (راب براون Rap Brawn) في الولايات المتحدة ، بعض القرارات الهامة في احد اجتماعاتها . فقد ارادت ان تدرس موضوع انشاء حركة جماهيرية واسعة – بالاتفاق مع بعض التنظيمات الاخرى – تكون اكثر ملاءمة مع الوضع الراهن من المنظمات الصغيرة . ولن يكون للرابطة رئيس فرد ، بل مجلس مؤلف من سبعة اعضاء يمكن تبديلهم في اي وقت . وذلك تلبية لالحاح الزعماء الزنوج ، ولمواصلة النضال ضد العنصرية والامبريالية .

وقد ظهر خلاف حول هاتين النقطتين الاخيرتين بين (ستوكلي كارمايكل Stokely Carmichael) والرابطة : فكارمايكل يركز على الحرب ضد البيض في الولايات المتحدة ، بينما تلح الرابطة على ضرورة مكافحة الامبريالية .

اليسوعيون والثورة :

كيف يكون المرء يسوعياً ، ويهتم بفرويدو كوبا والثورة ؟ ان مجلة « دراسات Études » الفرنسية ، التي انشأها سنة ١٨٥٦ الآباء اليسوعيون ، قد علقت في عدد (حزيران وتموز – يونيو ويوليو) على حوادث ايار ١٩٦٨ التي قام بها الطلبة ، بقولها : في ايار الماضي استولى الناس على حرية الكلام مثلما استولوا على الباستيل سنة ١٧٨٩ ... لقد تحرر الفكر باحتلال السوربون .

معرض الخط العربي :

ستقيم وزارة الثقافة معرضاً للخط العربي في المتحف الوطني بدمشق خلال شهر ايلول المقبل .

•

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر حديثاً

الاقتصاد العالمي

كتاب يجيب على السؤال التالي :

كيف يصبح الاقتصاد عالمياً ؟

تأليف : تميلتس

ترجمة : صلاح دعبول وسهام الشريف

منشورات وزارة الثقافة – دمشق